الجمهورية الجزائرية الشعبية
وزارة التعليم العلي والبحث العلمي
جامعة اكلي محند الحاج البويرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الوسيط فى الغرب الاسلامي

تحت بعنوان

الفن الموحدي نموذج دراسة المعالم الحضارية

إعداد الطالب (ة):
رمضانى نسيمة

إشراف الأستاذ(ة):
رافع رضا

السنة الجامعية: 2021/2020

شكر وعرفان

أحمد الله عز وجل الذي وفقني في إتمام هذا العمل، والذي أنعم علي بنعمة الصحة والعافية والعزيمة وأنار لي طريقي ووفقني في مسيرتي.

~ فالحمد لله حمداً كثيراً ~

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان وأسمى عبارات العرفان والتقدير إلى الأستاذ الفاضل الدكتور "***رافع رضا***" الذي تفضل بإشرافه على هذه المذكرة، والذي ساعدني ووجهني ولم يبخل علي بالنصائح والإرشادات والدعم والمعلومات القيمة التي ساهمت في إثراء موضوع دراستي في جوانبه المختلفة، لإتمام هذه المذكرة على ما هي عليه، والذي منحني الكثير من وقته، وكذا لرحابة صدره وسمو خلقه وأسلوبه المميز في متابعة العمل.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، الأساتذة: لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الدراسة.

كما أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد، وقدم لي يد العون والدعم، وسهل مهمتي في إتمام هذه المذكرة.

~ فجزاهم الله خيراً ~

**** رمضاني نسيمة ****

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا:

إلى أغلى ما أملك في هذه الدنيا، إلى من كانت سبباً في وجودي على هذه الأرض، وكانت بحراً صافياً يجري بفيض بالحب والبسمة، إلى من زينت حياتي بضياء البدر وشموع الفرح، إلى من منحتني القوة والعزيمة لمواصلة الدّرب، إلى من علمتني الصبر والاجتهاد وكانت سبباً في مواصلة دراستي، إلى من كان لدعائها المبارك، عظيم الأثر في تيسير سفينة البحث حتى ترسو على هذه الصورة،، إلى التي أنحني لها بكل إجلال وتقدير، إلى"***أمي الغالية***" أطال الله في عمرها.

إلى من أدين له بحياتي، إلى من ساعدني وكان شمعة تحترق لتضيئ طريقي، إلى من أكن له مشاعر التقدير والاحترام والعرفان، "***أبي العزيز***" أطال الله في عمره.

~ حفظهما الله وأدامهما نوراً لدربي~

إلى كل أفراد عائلتي الكريمة التي ساندتني ولا تزال، وجدتي أطال الله في عمرها ورزقها دوام الصحة والعافية، وإلى كل أقاربي من صغيرهم إلى كبيرهم بدون استثناء.

إلى أساتذتي الكرام، من الابتدائي إلى الجامعة، وأهل الفضل علي وكل من علمني ولو حرفاً.

إلى أصدقائي، وكل من أحبني بصدق، ومد لي يد المساعدة والدعم، وغمرني بالحب والمودة، وكل من كان لهم أثر على حياتي.

إلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلمي.

إلى زملاء الدراسة متمنية لهم التوفيق.

إلى كل هؤلاء وهؤلاء، أهدي هذا العمل المتواضع.

~ وأسأل الله العلي القدير أن يجعله نبراساً لكل طالب علم ~

***رمضاني نسيمة** *

مقدمة:

تعاقب على حكم بلاد الغرب الإسلامي العديد من الإمارات والدول على مر الأزمة والعصور، خلفت ورائها منجزات علمية، فكرية وأدبية، وشخصيات على درجة عالية، كما خلفت قصوراً ومباني وأسوار وزخارف وتحصينات تثبت عظمتها وجمال رونقها في براعة تصاميمها وحسها الفني، ومن بين هذه الدول نجد الدولة الموحدية التي كان لها الأثر الكبير في بناء حضارة إسلامية في الغرب الإسلامي.

ولهذه الدولة خصوصية فيما يتعلق بالجانب الفني، إذ أثرت الوحدة السياسية للمغرب والأندلس على كافة الأصعدة بصورة عامة، وعلى الجانب الفني والحضاري بصورة خاصة، حيث عرفت الدولة الموحدية أعظم الإنجازات الفنية التي عكست صورة الموحدين بطابع لا مثيل له، جمع بين الفخامة والنماء وشرف الانتماء.

وتعتبر دراسة الفن لمجتمع ما ميداناً هاماً ومجالاً واسعاً لمعرفة ذلك المجتمع، وهذا ما كان دافعاً لي من أجل دراسة الجانب الفني للدولة الموحدية، بالإضافة إلى أن الدولة الموحدية أطلقت الحرية الفكرية والفنية وشجعت ذلك في عموم رقعتها، مما أدى إلى ظهور نشاط فكري ومعالم بارزة، بقيت آثارها خالدة إلى يومنا هذا، وأثر أيضاً الاستقرار السياسي الذي عرفته الدولة الموحدية، خاصة في فترة حكامها الأربعة الأوائل الذين تعاقبوا عليها، وكانوا أهل علم وثقافة، شجعوا العلوم والفنون.

كما أن معظم الدراسات التي تناولت موضوع الدولة الموحدية تحدثت على الجانب السياسي والاقتصادي وأطنبت فيه، أما الجوانب الأخرى فالدراسات فيها قليلة.

أهمية الدراسة.

تكمن أهمية هذا الموضوع، كونه يعطي تصوراً واضحاً ومتكاملاً لجانب مهم في بناء الدولة، وهو الفن الذي يعتبر طابعاً لكل الدول في كل الأزمنة والعصور، ويؤدي إلى فهم أعمق للمدلول الفني من جهة، ودرجة الوعي الثقافي والعلمي من جهة أخرى.

إشكالية البحث: يحاول البحث الإجابة على إشكالية رئيسية مفادها:

- **إلى أي مدى تمكّن الموحدون من إبراز الجانب الفني في حضارتهم؟ وهل ظهر الإبداع الفني في إنجازاتهم؟**

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية يتفرع بحثي إلى أسئلة أهمها:

- **ما هي أهم الفنون التي عرفتها الدولة الموحدية؟ وما موقف السلطة الموحدية منه؟**
- **ما هو موقع المعمار من هذه الفنون ؟**

المنهج المتبع.

اعتمدت في دراستي على المنهج الوصفي التاريخي الملائم لطبيعة الموضوع، فالمنهج التاريخي يتطلب على استسقاء المعلومات من المصادر والمراجع، ثم العمل على تحليلها ومقارنة النصوص ببعضها البعض،وترجيح إحداها على الأخرى، بحكم دراسة الظاهرة الفنية والمعالم الحضارية في العهد الموحدي، والمنهج الوصفي لإبراز ذوق الموحدين الفني بشكل أدق، وكذا لتصوير الفن والمعمار بطريقة أقرب للواقع في تلك الفترة.

نقد المصادر.

واعتمدت في دراستي حول الفنون عند الموحدين والمعالم الحضارية على مجموعة من الكتب التاريخية المهمة، والتي أفادني كل واحد منها في جانب من الجوانب وأهم هذه الكتب:

المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي: ويعد هذا المصدر من أهم المصادر التاريخية للدولة الموحدية، لأن صاحبه عاش في كنف هذه الدولة وعاصر الكثير من أحداثها، وهذا ما يزيد من مصداقية ما ذكر من روايات، بالإضافة إلى الأدبية العظمى النابعة من كونه مصدراً تاريخياً وحضارياً للمغرب والأندلس معاً.

كتاب أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر علي الصنهاجي المعروف بالبيذق: عاش صاحب هذا الكتاب في القرن السادس الهجري الموافق للقرن الثاني عشر ميلادي، وهذا المؤلف يعتبر من أتباع المهدي بن تومرت، ومن أشد المخلصين للدولة الموحدية، قام برصد كل ما قام به بن تومرت في رحلته إلى المغرب، كما أن كتابه لم يخل من بعض الإشارات عن التاريخ الاجتماعي للدولة الموحدية، وقد استفدت منه في المدخل.

المن بالإمامة على المستضعفين لإبن صاحب الصلاة: وهذا الكتاب عبارة عن ثلاثة أسفار، وهو حافل بالأحداث الهامة ويتضمن أيضاً معلومات هامة عن الآثار المعمارية والحضارية، وأنا اعتمدت في دراستي على السفر الثاني،وتكمن أهمية هذا الكتاب في كون صاحبه عاصر الأحداث التي ذكرها في مصنفه، و قد استفدت منه كثيراً في الفصل الثالث.

العبر ديوان المبتدأ و الخبر لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة التي تشكل الجزء الأول من هذا الكتاب، أولت النظم الموحدية عناية خاصة، واستفدت منه كون ابن خلدون يتحدث عن تاريخ الموحدين بشكل تفصيلي وذكر معلومات قيّمة عنهم، وهذا أفادني كثيراً من موضوعي.

كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لمؤلفه أبي الحسن بن علي بن محمد الفاسي ابن أبي زرع : يعتبر من المصادر المغربية المهمة التي تناولت مدينة فاس، وأفادني هذا الكتاب في إعطاء صورة عن الإطار الثقافي للحكام الموحدين، وذلك عن طريق إحاطتهم بنخبة من العلماء والأطباء.

نظم **الجمان في أخبار الزمان لإبي الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان:** تميز صاحب هذا الكتاب بالتحيز الواضح للخلفاء الموحدين إلا أن هذا لا ينقص من أهمية ما أورده من معلومات عاصرها في كتابه وكان قريبا من مكان حدوثها.

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : لإبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي: ويعد من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، و حتى في الفترة التي تسبق نهاية دولة الموحدين والذي يتحدث فيه عن تاريخ هذه الدولة بأدق التفاصيل ، وهذا ما ساعدني على أخذ أكبر قدر من المعلومات.

محتويات البحث.

لمعالجة الموضوع معالجة شاملة قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وثلاث فصول على النحو التالي:

- بدأت دراستي بمقدمة، شملت أهمية هذه الدراسة والإشكالية المطروحة وأشرت أيضا إلى المنهج الذي اتبعته في دراستي وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.
- الفصل الأول تحت عنوان لمحة تاريخية عن الدولة الموحدية، تناولت فيه مراحل قيام الدولة الموحدية من الدعوة إلى التأسيس والتوسع.

- والفصل الثاني والموسوم بـ : الفنون عند الموحدين، وتحدثت فيه عن مختلف الفنون التي عرفتها الدولة الموحدية، والمميزات التي طبعتها، فهو عبارة عن دراسة وصفية للفنون، واشتمل على معظم أوجه النشاط الفني، وقسمت هذا الفصل إلى أربع مباحث، بحيث عرفت مفهوم الفن ونظرة الموحدين له في المبحث الأول، أما في المبحث الثاني فتكلمت عن الفنون الجمالية كالموسيقى والخط والكتابة، أما المبحث الثالث فتطرقت فيه إلى الفنون التشكيلية كالتزويق والزخرفة، النسيج والطرز، والهندسة المعمارية، وفي المبحث الرابع تحدثت عن الفنون التطبيقية كفن المسكوكات، صناعة الورق والتجليد، فن الصباغة وفن الطبيخ.
- أما الفصل الثالث، والموسوم بـ : المعمار عند الموحدين، وتطرقت فيه إلى دراسة الجوانب الفنية المعمارية والحضارية للدولة الموحدية، و التي عرفت ازدهاراً كبيراً في عهد الموحدين، وقمت بتقسيمه إلى أربع مباحث، بحيث تناولت في المبحث الأول نظرة الموحدين للبناء والتعمير وطابعه عندهم، أما المبحث الثاني فتناولت فيه المنشآت المدنية، فتحدثت عن المدن وذكرت أمثلة عن بعض المدن التي أقاموها مثل مدينة رباط الفتح ومدينة جبل الفتح، و كذا المنازل والقصور والمدارس والمستشفيات والحمامات والفنادق والقناطر، أما المبحث الثالث فتطرقت فيه إلى المنشآت الدينية كالجوامع وأعطيت أمثلة عن بعضها كجامع وكيف كان طابعها، أما المبحث الرابع و الأخير، فتناولت فيه المنشآت العسكرية الدفاعية التي أقامها الموحدون كالحصون والقلاع والأسوار.
- وفي الأخير، وضعت خاتمة ضمنتها مختلف الاستنتاجات التي توصلت إليها، من خلال دراستي للفن والمعالم الحضارية عند الموحدين.

* **صعوبات البحث.**

✓ ضيق الوقت.

✓ أغلب المصادر عن الدولة الموحدية تتحدث عن الجانب السياسي أكثر، مما شكل لي صعوبة نوعاً ما في أخذ المعلومات منها في الجانب الفني.

✓ المادة العلمية متوفرة بطريقة مبعثرة ومتناثرة في المصادر والمراجع، مما تطلب مني جهداً كبيراً في جمعها وترتيبها وهذا يتطلب التركيز والتدقيق.

الفصل الأّول:

لمحة تاريخيّة عن قيام الدّولة الموّحديّة.

المبحث 01: مرحلة الدعوة الموحدية.

أ/ محمد بن تومرت اسمه ونسبه.

قامت الدولة الموحديةّ على أسس دينية بحتة، وكان ذلك بزعامة رجل بربري ولد في النّصف الثّاني من القرن السّادس للهجرة[1] وهو ***محمد بن تومرت***، واسمه الكامل ***محمد بن عبد الله بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن جابر بن عطاء بن رياح بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه*** وبهذا يدّعي النّسب الشريف[2] وينتسب إلى قبيلة ***هرغة المصمودية*** القاطنة ***بجبل السوس*** إلى أقصى ***المغرب***. عرف عنه منذ صباه حبهّ للعلموقد عُرف باسم ***اسافو البربري*** والّتي تعني بالعربيةّ الضّياء[3].

اختلف المؤرخون في تحديد نسبه، فبعضهم قال أنه عربي وينتهي نسبه إلى الرّسول صلى الله عليه وسلم عن طريق ابنته فاطمة من زوجها علي والبعض يقول انهّ مختلط بين البربر والعرب، والموّحدون يصّرون أنّ نسبه قرشي الأصل من صلب للّول، وهذا ما أثبته ***ابن خلدون***، حين قال: "وإّما إنكارهم نسبه من أهل البيت فلا تعضده حجة لهم مع أنهّ ثُبِتَ أنه ادّعاه وانتسب فلا دليل يقوم على بطالته لأنّ النّاس مصدقون في أنسابهم"[4]، ووافقه في هذا الدّكتور ***عبد العزيز النّجار*** قائلا:"ا بن تومرت لا يتعّرفي الكذب وأنّ صحّة هذا النّسب تبقى قائمة من حيث الإمكان التاريخي والجغرافي والعقلي "[5].

ب/ الرّحلة العلميةّ لابن تومرت.

في سنة 501 هـ، رحل المهدي إلى ***المشرق*** لطلب العلم ووصل إلى بغداد، أين لقي ***أبا بكر الشّاشي***، فأخذ عليه شيئاً من أصول الفقه والدّين وسمع الحديث عن ***المبارك بن عبد الجبار*** ونظائره من المحدثين وقيل أنهّ لقي ***أبا حامد الغزالي*** بالشّام أيام تزّهده، وذكر له ما فعل أمير المسلمين بكتبه الّتي وصلت إلى المغرب من إحراقها

---

[1] ابن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم الشاذلي النيفير وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر ص99.

[2] ابن القطان أبي محمد حسن: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق علي المكي، المطبعة المهدية تطوان، المغرب ص88.

[3] ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان ص32.

[4] ابن خلدون (عبد الرحمن): **المقدمة**، دار الكتاب البناني، بيروت 1402 . 1982 ص42.

[5] عبد المجيد النجار: **تجربة الإصلاحية في حركة ابن تومرت**. المعهد العالمي الإسلامي فرجينيا. ط2. 1955 ص 52.

وإفسادها، فقال الغزالي حيث بلغه ذلك وبن تومرت حاضر ذلك المجلس: "ليذهبن عن قليل ملكه وليقتلن ولده وما أحسب المتولّي لذلك إلاّ حاضر مجلسنا"، وكان بن تومرت يحدث نفسه بالقيام عليهم فقوي طمعه[1].

وكان لرحلته إلى المشرق الأثر المباشر في تشكيل شخصيته والتأثير في أفكاره وآرائه. حيث مكث في العواصم الإسلامية من أجل التعّلم والتتلمذ على يد العلماء في كل من: ***بغداد، الإسكندرية والحجاز***. وكان قبل الرّحلة المغربية قد سافر إلى ***الأندلس***، حيث نزل ***بقرطبة*** ودرس بها على يد القاضي ***أبي جعفر حمدي***، إلاّ أنّ الإقامة هناك لم تدم طويلاً بل كانت محطة. ومن ***الأندلس*** توجه المهدي إلى ***تونس*** ليَّونزل ***بالمهدية***، حيث درس بها على يد ***أبي عبد الله المازري***، ثم ***مصر*** عن طريق ***جزيرة جربة***، أين أقام بها بضعة أيام، وهناك أخذ العلم من الشيخ ***أبي بكر الطّرطوشي***. ثمّ فضّل الذهاب إلى الحج وأداء الفريضة.

توّجه بعدها من ***الحجاز*** نحو ***العراق***، ومكث بها ما يزيد عن عشر سنوات، وهناك تبحّر في علم الكلام وعقائد الاعتزال والأشاعرة، وأخذ كل ما يخدم فكرته، فقال ***ابن خلدون***:"ودخل العراق ولقي جلّة العلماء يومئذ وفحول النظار وأفاد علماً واسعاً". ومن أشهر شيوخه في المشرق: ***الإمام الغزالي وإلكيا الهراسي ومبارك عبد الجبار وأبو بكر الشّاشي***[2].

ج/ مسيرة العودة.

في عام 515 هـ، شرع ***محمد بن تومرت*** في رحلته للعودة إلى ***الشّمال الإفريقي***، واستغرقت مدة عودته إلى غاية مسقط رأسه أربع سنوات، وكان خلالها يتوقف بكّل القرى والمدن الّتي يمّر بها، ينشط ويعمل على نشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها ويشكل خلايا تابعة له في كل مكان، فذهب إلى ***مصر*** ومكث في ***الإسكندرية*** الّتي اُخرج منها بسبب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وتعّرض لمحن ومواقف صعبة بسبب ذلك[3].

وعند رجوعه زار ***طرابلس الغرب، المهدية، المنستير، تونس وقسنطينة***، ثم وصل إلى ***بجاية*** هذه المدينة التي شكلت محطة مهمة في حياته السياسية وبداية علمية لبناء الدولة الموحديةّ، وبدأ في تطبيق نهجه الفكري من خلال المساجد والاحتكاك المباشر مع الناس سواء العامة أو الخاصة، وبهذه المدينة بدأ صيته يذُاع ويعضُم أمره، والتفت

---

[1] المراكشي(عبد الواحد): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة 1382 ص 135.

[2] عبد المجيد النجار: **مصدر سابق** ص 09.

[3] عبد المجيد النجار: **تجربة الإصلاح في المهدي بن تومرت**. ص63.

حوله الطلبة والأتباع، ثمّ خرج من ***نجاية*** إلى قرية صغيرة تدعى ***ملالة***، وفيها التقى ***بعبد المؤمن بن علي*** الّذي كان في طريقه إلى المشرق لطلب العلم، الّذي رأى فيه الصّاحب والمعين في تحقيق دعوته[1]، وقد لمح المهدي فيه علامات الذّكاء وصفات النبّوغ والفطنة وأخبره بحقيقة ما ينوي القيام به، فيبايعه على مؤازرته في الشّدة و الرّخاء والأمن والخوف والعسر واليسر.

استمر بن تومرت في تنقله بين المدن، ووصل إلى ***فاس***، خلال هذه المدّة كان ملتزماً ببرنامجه الّذي وضعه لنفسه وكان من ضمن أهدافه: العمل على تقريب أشخاص من ذوي القوالجسمانية قليلي التجربة، إضافةً إلى استمراره في النهّي عن المنكر، مما أفضى إلى طرده من ***فاس***[2].

ثمّ توّجه إلى ***مراكش*** مقر حكم المرابطين، وخلال رحلته، كان ينبهّ ***عبد المؤمن بن علي*** للمواقع ذات الإستراتيجية، ويدل ذلك على أنّه كان يخطّط لحرب طويلة الأمد ضد المرابطين ودخل بن تومرت مدينة ***مراكش*** في زيّ الزّهاد، وكعادته خرج مع تلاميذه إلى أسواق مراكش، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر دون إذن أمير المسلمين أو أحد قضاته أو وزراءه.

لما كثُر نشاطه في مدينة مراكش خاصة في مجال الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر والطعن في أمير المسلمين ***علي بن يوسف***، استدعاه هذا الأخير للاطلاع على حقيقة أمره، فلّما حضر بين يديه استطاع بن تومرت أن يقنعه بأنّه زاهد، وليس له أيّ مطمع دنيوي، إنمّا يقوم بما يقوم به بسبب تفشّي المفاسد والبدع في ملك أمير المسلمين والّذي هو مكلف بإزالتها والعمل على إحياء السّنة، وكان يتحدّث بأسلوب مؤثر وقع في نفس أمير المسلمين فذرفت دموعه على وجنتيه، ولم تعم فصاحة وأسلوب بن تومرت المؤثّر أمير المسلمين خطورة دعوته، ثمّ أمر بإحضار الفقهاء لمناظرته،كان من بين الحاضرين الفقيه ***مالك بن وهيب الأندلسي***، وكان جل من حضر من فقهاء الفروع ليست لهم دراية كافية بالأصول، مما جعله يتفّوق عليهم فأشار ***مالك بن وهيب*** للأمير بأنّ الرّجل لا يريد إلاّ فساداً ولا يؤتمن، وإن سمعتهالنّاس استهوت وأصابنا منه شّر كثير،ٌ لذلك اقتله قبل أن تنفق أموال الدّنيا ولا تتمكن منه لكن تدخل بعض الحاضرين من المقربين من الأمير، أشاروا إليه بعدم قتل نفسٍ بغير حقٍ وأمره بإخراجه من البلد.[3]

---

[1] المراكشي: المعجب، **مصدر سابق** ص 63.

[2] ابن خلكان: **المصدر السابق** ص 63.

[3] ابن خلكان: **المصدر السابق** ص 46.

المبحث 02: المرحلة الانتقالية.

أ/ عودة ابن تومرت إلى مسقط رأسه محضن دعوته.

لما شعر بن تومرت بخطورة الوضع وخاصة أن فقهاء المرابطين مازالوا يتآمرون عليه ويطلبون من الأمير أن يقتله، غادر إلى مدينة ***أغمات*** حيث أقام بها بضعة أيام يدرس بمساجدها، لكن منافسيه من الفقهاء أرادوا أن يختبروه، فأجرى هناك مناظرة معهم فأفحمهم، وقد سأل خصمه قائلا:" طرق العلم هل هي منحصرة أم لا ؟ فأجاب مقدمهم:"تنحصر في الكتاب والسنّة و المعاني الّتي نبهت عليها"، فقال له:" إنّما سألتك عن طرق العلم. هل تنحصر أم لا ؟ فلم تذكر إلا واحدة منها ومن شروط الجواب أن يكون مطابقا السّؤال، ثم سأله عن ما هي أصول الحق و الباطل ؟ فعاد إلى جوابه الأوّل، فلما رأى ابن تومرت عجز مناظريه عن فهم السّؤال والجواب عنه، شرع يبيّن لهم أصول الحقّ والباطل، فقال:" إنها أربعة وهي العلم والجهل والشك والظن والعلم أصل للهدى والجهل والشك والظن أصول للضلال"[1].

وبعد ***مدينة أغمات*** توجه نحو ***بلاد السوس*** إلى مسقط رأسه ***جبل إيجلي***، بعدما تأكد أن المكان غير آمن وقد يغدر به خاصة بعد أن أفحم فقهاء المرابطين[2]، وفي ***إيجلي*** بني بن تومرت رابطة للعبادة، واجتمع إليه الطلبة والمتعلّمون والقبائل، مما زادهم حباً وتعظيماً له. كما قام يشرح لأتباعه نظرية المهدي المنتظر ويشوقهم إليه وجمع الأحاديث التي ذكرت ذلك، وفي نفس الوقت كان يرسل إلى القبائل المجاورة له يشوقهم إلى دعوته إلى أن أدرك أن دعوته أثمرت[3].

ب/ الإعلان عن المهدوية وتنظيم الأتباع.

في الخامس والعشرين رمضان سنة 515 هـ في قرية أيجلي مسقط رأسه، قام في أتباعه خطيباً معلناً أنّه المهدي المنتظر[4] في خطبة قصيرة قال فيها:**"الحمد لله الفعّال لما يريد القاضي بما يشاء، لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه وصلى الله على يد سيدنا محمد المبشر المهدي الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً يبعثه**

---

[1] محمد بن تومرت: **اعز ما يطلب**، تحقيق عمار طالبي، المؤسس الوطنية للكتاب، الجزائر 1405 هـ . 1985 م. ص 31 . 32.

[2] ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.** ج 6. دار الكتاب اللبناني بيروت 1402 هـ . 1982 ص 468.

[3] المراكشي: المعجب، **المصدر السابق** ص 254.

[4] رشيد برويبة: **ابن تومرت**، ترجمة عبد الحميد حاجيات. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1402 هـ . 1982 ص 65 . 66.

الله، إذ نسخ الحق بالباطل وأزيل العدل بالجور مكانه بالمغرب الأقصى وزمنه آخر الزّمان واسمه اسم النبّي عليه السّلام ونسبه نسب النبّي صلى الله عليه وسلم تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم، وقد ظهر جور الأمراء وامتلأت الأرض بالفساد وهذا آخر الزمان والاسم الاسم والنّسب النّسب و الفعل الفعل".

ولما فرغ من خطبته قام عشرة من رجاله أوّلهم ***عبد المؤمن بن علي*** الّذي قال له:"هذه الصّفة لا توجد إلاّ فيك فأنت المهدي فبايعوه"، وقد انتهز بن تومرت الفرصة ليبايعه أصحابه تحت شجرة الخروب على ما بايع الصحابة رضي الله عنهم للّول عليه الصلاة والسلام تحت الشّجرة[1]، وبعد المبايعة أطلق عليه المهدي بعدما كان يسّمى بالإمام،كما أطلق على هؤلاء العشرة اسم أهل الجماعة، وتبعه كل من حضر من الأنصار من مختلف القبائل، وجعلهم طبقة ثانية سماهم بأهل الخمسين وتضم ممثلين عن القبائل التي اقتنعت بدعوة المهدي[2].

ج /كسب الأنصار والقبائل المجاورة.

استمر المهدي في دعوته يستقطب إليه القبائل الأخرى، ويكسب الأنصار حتّى علا صيته وكثر أتباعه ووصل خبره إلى السّلطان المرابطي ***علي بن يوسف***، فوّجه لمحاربة وأتباعه عدّة قواتٍ منها الّتي أرسلها إلى والي السوس ***أبو بكر محمد اللمتوني***، إلاّ أنّ صعوبة المسالك جعل الوصول إليها صعب، عبر طريقٍ واحدٍ ضيقٍ لا يعبره إلاّ فارس واحد.

لم تتمكن قوات المرابطين من القضاء على قوات بن تومرت، بل تمكّن الموّحدون من هزيمة جيوش المرابطين وعادوا بغنائم كثيرة، وكان لهذا النّصر أثره في نفوس أتباع المهدي، إذ تضاعفت شهرته وشيعته وارتفع عدد أتباعه وقد حاول المرابطون مرة أخرى ولكن دون جدوى، ولانت لإبن تومرت خلال فترة 516 هـ معظم القبائل المصامدة وقاتل في نفس الوقت القبائل الّتي رفضت الانضواء تحت رايته منها: ***قبيلة هكسورة وهنرجة و وأزكيت وعجدامة***، في حين كانت له معظم القبائل المجاورة، وقد استمرت ثوراته تلك زهاء ثلاث سنوات (515هـ.518 هـ)، وهكذا تمكّن من بسط نفوذه على ***بلاد السوس*** [3].

---

[1] ابن القطان: **المصدر السابق** ص 124.

[2] ابن الأثير(عز الدين): **الكامل في التاريخ**، ط4. ح 8. دار الكتاب العربي بيروت 1403 هـ . 1983 ص 298.

[3] ابن القطان: **المصدر السابق** ص 129 . 130 . 131. 132.

وفي سنة 518 هـ، توّجه ابن تومرت من جبل إيجلي نحو ***تيتمل*** في سفح جبل دون مقّرالثاّني (وهو موقع حصين يقع بين جبلين يصعب دخوله إلا من جهة واحدة)، باعتبار أن المنطقة أصلح وأقرب لنشر دعوته، فأكرمه أهلها و استقبلوه أحسن استقبال وأكّدوا له خضوعهم وولائهم و بايعوه[1].

د/ معركة البحيرة وانهزام الموحدين.

لما استقر الأمر بالمهدي، راح يفكّر في التّحضير للهجوم على ***مراكش*** مقر المرابطين، فمّهد لذلك بهجوماتٍ صغيرةٍ سنة 524 هـ، ثمّ جّهز جيشاً كبيراً قُدّر بأربعين ألف مقاتل تحت قيادة أبا محمد ***البشير الونشريسي*** يساعده عبد المؤمن بن علي، وجعله إماماً للصّلاة وتوجه إلى مراكش، حيث استطاع في البداية أن يهزم جيش المرابطين الّذين انسحبوا، وتمكن من دخول المدينة وغلق أبوابها، فحاصرها الموّحدون لمدة أربعين يوما[2]، ممّا أّدى بأمير المرابطين ***علي بن يوسف*** إلى طلب الإمدادات من القبائل المجاورة، فكان له ذلك، ثمّ جّهز جيشه وخرج لمقابلة جيش الموّحدين الّذي كان معسكراً في الجهة الشرقية من المدينة يسّمى ***بالبحيرة***[3]، فأصبحت تسّمى ***بمعركة البحيرة*** ودارت بين الجيشين معركة ضارية وهي أكبر معركة بينهما، انهزم فيها الموّحدون شّرهزيمةٍ ، حيث كان عدد قتلاهم أربعين ألفاً وفيها قتل خيرة أتباع المهدي منهم ***البشير الونشريسي***، ولم يسلم منهم سوى أربع مائة فارس ورجل، ولولا هطول المطر ودخول للّيل لأتوا على آخرهم[4].

اغتنم عبد المؤمن الفرصة وتوجه نحو ***أغمات***، وكان قد وصل خبر هزيمة الموّحدين إلى المهدي الّذي كان مريضا، فسأل عن عبد المؤمن إن مازال حياً ؟ فقيل له: نعم، فقال: الحمد لله ربّ العالمين، غير أنّ هذه الهزيمة لم تنقص من عزيمة المهدي وأتباعه، بل قام يهّون عليهم وقعها ويذكّرهم بأنّ قتلاهم شهداء، لأنّهم دافعوا عن دين الله مظهرين السنةّ، فزادهم ذلك حرضاً على لقاء عدّوهم وقاموا بشّن عدّة غارات مفاجئة على ضواحي مراكش وقطعوا عنها المَؤن وأخذوا كل ما يجدونه[5].

---

[1] مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمانة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب 1989. ص 112.

[2] ابن الأثير الكامل: **المصدر السابق**. ج 8 ص 298.

[3] نفسه ص 298.

[4] البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت** ،تحقيق عبد الحميد حاجيات. الرغاية، الجزائر 1432هـ . 2011 ص59 . 60.

[5] المراكشي: المصدر السابق، ص 261.

هـ/ وفاة المهدي بن تومرت.

بعد عودة الموحدين من ***معركة البحيرة***، اشتدّ مرض بن تومرت الّذي أصابه قبل المعركة، وربما أثرت عليه هزيمة الموّحدين ومقتل معظم أصحابه، حيث لم يعش طويلاً بعدها[1]. إذ لما دنا أجله خرج من بيته راكباً بغلته يشدّه اثنان من أصحابه ، فتجّمع حوله النّاس ليستمعواله نساءً ورجالاً ، فوعظهم طويلاً إلى أن أضحى النّهار ثمّ قال لهم:"اعرفوني و حققوني أنا مسافرٌ عنكم سفراً بعيداً فأجهش النّاس بالبكاء، فقالت له أخته زينب:"وإلى أين تغيب عنّا ألم يكفك أنك غبت عنّا خمسة عشر عاماً ؟"، وقال له الحاضرون:" إن كنت تسير إلى الشّرق نسر معك فقال:"ليس هذا سفر يسافره معي أحد إنّما هو لي وحدي"، ثم دخل ولم يره أحد أبدا[2].

وقد حدّد المؤرّخون تاريخ وفاته بسنة 524 هـ من شهر رمضان[3]، ما عدا ***ابن خلدون*** فحدّدها ب 522 هـ كما يذكر أن الوفاة أخفيت عن الأتباع ولم تعلن بل بقيت سراً إلى أن بايع الموّحدون خليفته ***عبد المؤمن بن علي*** البيعة العامة، وهذا حرصاً منهم للحافظ على وحدة صفّ الموّحدين واجتماعهم على رجل واحد و حتّى لا يستغل المشكّكون في حقيقة هذه الدعوة الظرف[4]، وبذلكقضُى على الدولة الموحديّة وهي مازالت في مهدها.

---

[1] ابن خلدون: **العبر**.ج 6 ص 471.

[2] البيذق: **المصدر السابق**. ص 62.

[3] ابن قطان: **نظم الجمان**، المصدر السابق. ص 472.

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**. ص 472.

المبحث 03: مرحلة تأسيس الدّولة.

أ/ عبد المؤمن وتأسيس الحكم.

خلف بن تومرت أ حد طلبته المقّين منه وأحبهم إليه ***عبد المؤمن بن علي*** رغم أنّه لا ينتمي إلى ***قبيلة مصمودة***، وهو من قوم يقال لهم ***بنو حمير***، مولده ***بفبكة*** من تلمسان تعرف ***بتاجرا***، وقيل أنه يقول إذا ذكر كومية لست منهم، وإنما نحن ***لقيس عيلان بن مضر بن براز بن معد بن عدنان*** و ***لكومة***، علينا حق الولادة بينهم، وهم الأخوال ولهذا يقولون إذا ذكروه بعد بن تومرت قيسية رضي الله عنه في النسب الشريف[1]، فقد كان عبد المؤمن يتصف بصفات القيادة مما يؤّهله لقيادة الدّولة الفتيّة وإخماد الفتن، وكانت مهّمته الأولى هي القضاء على دولة المرابطين لذلك كان عليه إعداد جيش قوي وتوثيق الّروابط مع القبائل المجاورة وحشد جموعهم[2].

فمنذ مبايعته، بادر على مواصلة قتال المرابطين وحلفائهم، وقد أخذ منه ذلك وقتاً طويلاً إلى سنة 534هـ، لكنها في معظمها لم تكن ترقى لمستوى المعارك، بل كانت حروب تشبه حرب العصابات[3] إلى أن استولى على منطقة جبال الأطلس، ثمّ أعدّ جيشاً كبيراً وانطلق لغزوة ضخمة ومهمة استمرت 7 سنوات (534 هـ 541 هـ)، جاب فيها مختلف المناطق المجاورة ***لمراكش***، حيث تمكن من بسط نفوذه عليها واستمالة قبائلها ومن هذه المناطق: ***وهران*** سنة 539 هـ و***تلمسان*** سنة 539 هـ وتلقى بيعة ***أهل سلجماسة*** في نفس السنة، كما فتح ***فاس*** سنة 540 هـ، ***سلاه*** 540 هـ، ***سبته*** 541هـ و ***أغمات*** و***طنجة*** 541 هـ و***مكناسة*** الّتي حاصرها الموّحدون سنة 540 هـ ولم يتمكنوا من فتحها إلّا سنة 543 هـ[4]،وبذلك تمكن من عزل مراكش عن باقي المناطق بعد الاستيلاء عليها وضّمها إليه.

ب/ التوسعات في المغربين الأوسط والأدنى.

---

[1] المراكشي: **المعجب.** ص 148.

[2] روجي لي تورنو: **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عشر**، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا 1402 هـ .1998 ص 67.

[3] صالح بن القرية: **عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط01. 1405 هـ . 1985 ص 97.

[4] البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت**. ص97.

بعد القضاء على المتمّين والثائرين على الدولة الموحديةّ في المغرب الأقصى، قرر عبد المؤمن الاتجاه نحو المغرب الأدنى والأوسط بعد استغاثة السّكان المسلمون به، الّذين كانوا تحت تهديدات ***النّورمانديين***[1] الّذين احتلوا ***المهديّة*** سنة 543 هـ واختلاف الأمراء وتطاول العرب من ***بني هلال*** و***سليم*** بالفساد، فكان عليه أن يقوم بواجب النّصرة وسط النفّوذ، فقام بتجهيز الجيش و الاستعداد للتلخّرنحو المغرب الأوسط في سرية محكمة حتى أنّه كان لا يسمح لأحد أن يسأل عن ذلك[2]، انطلق أيضاً عبد المؤمن بجيشه نحو المغرب الأوسط سنة 546 هـ، ودخل مدينة الجزائر في نفس السّنة صلحاً، ثم اتّجه نحو بجاية الّتي كان يحكمها ***يحي بن العزيز بن المنصور*** وتمكن من دخولها سنة 547 هـ[3] دون مقاومة شديدة، وقد أحسن إلى أهلها ولم يتعرض لهم بسوء إلاّ أنّ الوضع لم يستتب له، بل ظهرت بعض المقاومة من العرب الّذين حاولوا استرجاعها مع الأراضي الّتي طُردوا منها، وقد تمكّن الموّحدون من القضاء عليهم بعد قتال استمّر ثلاث سنواتٍ[4].

واصل توّسعاته في شرق بجاية، حيث فتح ***مدينة بونة*** 551 هـ[5]، وفتح أيضاً ***سوسة***، ***قفصة***، ***القيروان*** ***صفاقص*** و***فاس*** وغيرها من المدن واسترجعها للمسلمين، ضّم أيضاً ***افريقية*** لحكمه سنة 555 هـ[6]، وبذلك وضع كامل الشّمال الإفريقي تحت راية وسلطة الموحدينّ[7].

ج/ الأندلس تحت حكم الموحدين.

بعد أن قضى عبد المؤمن على كّل الفتن والثائرين، فكر في إخضاع الأندلس لحكمه، حيث كانت الدولة المرابطية تحتفظ ببقية من سلطانها لكن سلطتهم كانت مضطربة إذ راح كل والٍ يستقل بولايته، لتعرف الأندلس بذلك عهد ملوك طّوائفٍ ثانٍ، ظهر فيه عدد من المرابطين الّرافضين للحكم المرابطي[8] وازداد ضغط النّصارى، فأُخذت ***أرغون سرقسطة*** سنة 512 هـ واستطاع ***ابن رذمير*** أن يخترق الأندلس سنة 519 هـ من غير مقاومة

---

[1] ابراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، دار السلمي البيضاء، المغرب، ج01. ط01. 1384هـ . 1965م. ص270.

[2] البيذق: **المصدر السابق** ص 106.

[3] ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس.** 1392 هـ . 1972. ص193.

[4] البيذق**: المصدر السابق.** ص 64.

[5] عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس** ط1، القاهرة 1383 هـ 1964 ص 293.

[6] ابن عذارى**: المصدر السابق.** ص 64.

[7] روبار برتشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط01. 1408هـ. 1988م. ص32.

[8] ابن عذارى: **قتم الموحدين.** ص24.

تذكر[1]، فعمل عبد المؤمن على استرجاع المناطق المأخوذة والقضاء على الفتن وتوحيد المغرب الإسلامي تحت راية الموّحدين وكان أّول المتّصلين به من أهل الأندلس أمير البحر ***علي بن عيسى بن ميمون*** (المنتزي على المرابطين في ***جزيرة قادس*** سنة 540 هـ)[2]، ولوضع حدٍّ للأوضاع المتّردية في الأندلس بادر عبد المؤمن بإرسال الجيوش إليها سنة 540هـ قُدرت بعشرة آلاف فارس بالرغم أنّه كان في أدق مرحلة له في المغرب أثناء حصاره لمراكش[3]،كما توافد على عبد المؤمن العديد من زعماء الأندلس الثاّئرين أثناء حصاره لمراكش معلنين طاعتهم له منهم: ***أبي الغمر بن عزوز*** زعيم ***شريس*** و***رندة*** والقاضي ***ابن حمدين*** زعيم ***قرطبة***[4]، وقد واجهت جيوش عبد المؤمن مقاومة شديدة من أنصار المرابطين في الأندلس والثائرين إلا أنّها في سنة 541 هـ[5]، استطاعت أن تُخضع العديد من المدن على النّحو التّالي: ***شريش*** ثمّ ***لبة*** ثمّ ***شلب***، ***باجة***، ***بطليوس***، ***فاشبيلية***، وبذلك فإنّ معظم مدن غرب الأندلس خضعت لطاعة الموحدين[6].

كما تنازل ***يحي بن غانية*** عن ***قرطبة*** و***بياسة*** و**أبدة** للموحدين سنة 543 هـ[7]، لكن سرعان ما تمردت بعض مدن مما اضطر عبد المؤمن إلى إرسال المدد بقيادة ***يوسف بن سليمان***[8] الّذي تمكن من استعادة هذه المناطق وإخماد التّمّروما إن حلّت سنة 545 هـ حتى تمكن الموّحدون من أخذ البيعة والطاعة من الّذين استقلوا بمدنهم من الثّائرين، إلاّ أنّ شرق الأندلس بقي معظمه تحت سيطرة ***بن مردنيش محمد بن سعيد*** إلى أن تمكن الموّحدون من فتح ***ألمرية*** سنة 552 هـ[9] والقضاء على قوات النّصارى وحلفائهم واسترجعوا قاعدتها البحريّة الشّهيرة الحصينة، وكان قبلها قد دخل الموّحدون مدينة ***غرناطة*** سنة 551 هـ[10].

---

[1] المراكشي المعجب: **المصدر السابق** ص277.

[2] الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**. مكتبة لبنان، بيروت. ط02. 1405 هـ . 1984 ص448.

[3] عصمت عبد اللطيف دنش: **أضواء جديدة على المرابطين**، درر الغرب الإسلامي، بيروت. ط 01. 1408 هـ . 1991 ص104.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**. ص27.

[5] ابن الأبار: **الحلة البيراء**، تحقيق حسين المؤنس، دار المعارف، القاهرة 1405 هـ .1985 ص 199.

[6] دنش عصمت: **المرجع السابق** ص199.

[7] ابن عذارى: **نفس المصدر**، قسم الموحدين ص40.

[8] المراكشي: **المصدر السابق** ص261 . 421.

[9] الحميري: **المصدر السابق** ص537 . 538.

[10] ابن عذارى: **نفس المصدر** ص55.

ولاستتبات الأمن والاطمئنان على الأندلس وأهلها المسلمين، زارها عبد المؤمن بنفسه سنة 555 هـ واستقر بجبل طارق الّذي أطلق عليه اسم ***جبل الفتح***[1]، وفيه جاءته الوفود من كل مكان، وقد مكث هناك قرابة شهرين، ينظم شؤونها وينظر في مطالب أهلها ويستمع إلى قضاتها وعلمائها، وفي سنة 558 هـ أمر الناس بجهاد الّروم في الأندلس والقضاء على المتردّين واستقر في مدينة ***سلا***، أين جهّز جيشاً ضخماً قاصداً به الأندلس[2]، لكن سرعان ما أصيب بمرضٍ أدى به للوفاة في 10 جمادى الثانية 558 هـ، وكان قد أوصى بالخلافة من بعده لابنه ***يوسف أبي يعقوب*** الّذي بايعه النّاس فيما بعد[3]، واصل هذا الأخير سعي أبيه حيث تمكن من تذليل الصّعاب وتوحيد المغرب والأندلس تحت حكم الموحدين، إذ تمكن من إخضاع الأندلس سنة 567 هـ.

[1] المراكشي: **المصدر السابق** ص282.

[2] ابن أبي زرع الأنيس المطرب ص202.

[3] يوسف علي بن ابراهيم العربي: **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين**، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز 1416هـ . 1995م ص7.

الفصل الثّاني:

الفنون عند الموحّدين.

تمهيد.

تستطيع الفنون المختلفة أن تعكس الكثير من الحقائق، فهي على مستوى الفرد تعكس ثقافته ومهنته وميوله أما على المستوى العام والتّاريخي، فهي تعكس ملامح حضارة، والفنون في حقيقة الأمر هي اللّغة المرئية الّتي يستطيع الباحث من خلالها رسم ملامح كاملة لطبيعة الشّعب أو الدّولة بأكملها.

المبحث 01: الموحدون والفن.

أ/ تعريف الفن.

يعتبر الفّن من المصطلحات الواسعة الّتي يصعب تحديد تعريف جامع لها، فهو كّل ما أبدعته عقول وأيدي البشر منذ وجودهم على وجه الأرض، وتتعدّد أصناف الفّن ما بين الفّن المعماري والمسرحي والتّشكيلي والحرف والصّنائع، وتشير موسوعة الفلسفة أنّ الفن يشتمل على الأنظمة أو المجالات الإبداعية مثل الشّعر والدراما والموسيقى، أما معجم اللّغة العربية المعاصر، فيعتبر الفن جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة معينة[1].

ب/ نظرة الموّحدين للفن.

اعتبر بن تومرت في بداية الأمر الفن من ترف الحياة ولهوها، ولكن بعد استقرار الفتح والازدهار الاقتصادي، أخذ الموّحدون يميلون للتأنّق و التّجميل، وانعكست النّهضة الحضارية الّتي عرفتها الدّولة على جميع الجوانب.

وارتكزت سياسة الدّولة الموّحدية منذ بداياتها الأولى على إقامة حضارة إسلامية قائمة على العلم والثّقافة كدعامة أساسية للدّولة، وأعطى الموّحدون لهماالأولويّة لبناء دولتهم وجعلوهم نواةً لحضارتهم، وأّسسوا المكتبات الضّخمة واستقطبوا الفقهاء والأدباء والشّعراء والمفكّرين والفلاسفة والأطباء والجغرافيين الفلكيين يالّرضيين، إذ يقول أحد المختصين في الدّراسات الأندلسية:" في ظل دولة الموحدين الّتي خلفت دولة المرابطين في حكم الأندلس، انتعشت الحضارة الأندلسية والتفكير الدّيني الّذي أبدى خلفاؤه وبنوه اهتماماً بالعلوم والفنون وأطلقت حريةّ التفّكير والبحث".

[1] وليد مولحن: **الفن المعماري في المغرب الإسلامي العصر الموحدي نموذجاً**، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات.10/05/ 2015.

وازدهرت المعالم العلمية أيام الموحدين بالمغرب والأندلس"، وكانت المعاهد الأندلسية في كلٍ من ***اشبيليا***، ***قرطبة***، ***غرناطة***، ***بلنسية***، ***مرسية*** و***مقالة*** مجمعاً للعلوم و المعارف فليّعة في تلك العصور، وكانت مقصداً للطّلاب من كّل مكان، كما احتوت على مكتبات تضم أنفس الكتب والمصنفات في مختلف العلوم[1]، وارتقت الفنون في الكثير من مظاهرها وقطعت باحات من التقدّم والازدهار في دائرة طابع الدّولة الثلّاثي: العظمة والدّين واللّغة[2].

المبحث 02: الفنون الجمالية.

أ/ الموسيقى.

كان أهل الأندلس محبيّن بطبعهم للموسيقى، ويعود الفضل في نقل الموسيقى الشرقيةّ إلى الغرب الإسلامي ***لزرياب*** تلميذ ***اسحاق الموصلي***[3]، الّذي دخل الأندلس أيام ***عبد الرّحمن الثّاني***، وكانت له مدرسة موسيقيةّ في قرطبة تحّولت فيما بعد إلى معهد للموسيقىالأندلسيّة[4].

وعُرف عن أهل الأندلس ميلهم إلى الّسماع، ففي ***غرناطة*** كان الغناء متفشياً في أوساط المجتمع[5]، وعند فتح المغاربة وافتكاكها من أيدي النّصارى، تأثّروا بحياة التّرف الّتي كان يعيشها الأندلسيون، وانتقل إليهم حب الّسماع وحدث هذا في وقتٍ سجّل أغلب الفقهاء تحريم الموسيقى والغناء[6]، وهذا التّحريم جعل خلفاء الموّحدين يبذلون قصارى جهدهم في محاربة تفشّي هذه الظّاهرة بين النّاس، فعندما دخل بن تومرت ***مدينة فاس*** مّر بزقاق زرقالة الّذي به دكاكين مليئة بأدوات اللّهو من قز ومزامير وعيدان وروطا وكيتارات، فأمر كل من معه بكسرها كلّها[7]، وقد أثّرت النّهضة الّتي نشأت عليها الدّولة الموحديةّ من دينٍ وتقشّفٍ على تضييق نطاق الموسيقى[8].

---

[1] وليد مولحن: **الفن المعماري في المغرب الإسلامي العصر الموحدي نموذجاً**، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات.2015/05/10.

[2] المنوني: **حضارة الموحدين** ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1979 ص167.

[3] السيد عبد العزيز سالم: **في تاريخ وحضارة الأندلس**، مؤسسة شباب، الجامعة الإسكندرية 1970 ص148.

[4] فارمر: **تاريخ الموسيقى العربية**، ترجمة حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الطباعة الحديثة، مصر ص153.

[5] لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة 2003 ص282.

[6] ابن حزة: **رسائل بن حزم**، ج01 تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان 1978 ط2 ص430 ـ 431.

[7] البيذق : **أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الرغاية ، الجزائر 1432 ـ 2011 ص12.

[8] محمد المنوني، **حضارة الموحدين** ص176.

وسلك **عبد المؤمن** طريق **المهدي** في محاربة وسائل اللّهو والسّماع، وأمر **المنصور** بمعاقبة كل من ثبت في حقّه ممارسة أيّ نوعٍ من أنواع اللّهو والمنكر، ووصلت العقوبة إلى القتل أحياناً[1]، ومع هذا فإنّ مجالس اللّهو والأنس لم تنقطع، وخاصةً في بلاد الأندلس، وتمادوا في مجالس اللّهو، حيث ضّمت وسائل اللّهو غير المباحة شعراء ومغنيّين مجانين، وقد حارب الموّحدون هذه الظاهرة بشدّة، حتى انقطعت في عصرهم.

وفي تلك الفترة ظهر فّن الزّجل الّذي يعدّ أغنية شعبية تناقلتها ألسنة العّامة، ورّددها النّاس في مواسم العصير أبو ّام القطاف[2] ولم يستعمل الزّجالون اللّغة العربية في أزجالهم، بل استخدموا اللّهجات العاميّة[3]، ويعدّ **بن قزمان** أبرع من كتب في الزّجل[4]، وظهر في عهد الموّحدين الكثير منهم **كعبد الغافر بن رجلون المرواني أبو الحسن علي بن جحدر أبو عمر الزاهد** و**بن ناجية اللورقي** و**بن عمير**، الّذي استحدث نوعاً جديداً سمّي بعروض البلد.

وطريقة تأدية الزّجل قريبة جداً من طريقة تأدية بعض الأغاني الشّعبية الّتي تؤّدى اليوم في الأعراس وفي بعض المناسبات، وهذا النوع من الغناء لم ينل يوماً اعتراف الطّبقات الارستقراطية في تلك الفترة وخاصة في الأندلس الّتي لم يخلو أي قصرٍ من قصور الأثرياء والأعيان من أبرز المغنيّن والمغنيّات[5]، ويمكن القول أنّ الزّجل كان منتشراً بين الكثير من النّاس وخاصةً الطّبقات الدّنيا من المجتمع، لأنّه كان يعّبر عّما يمّسهم من حزنٍ وفرحٍ، فقد كانت هذه الأزجال مرآة عكست ما حدث في المجتمع حقاً.

---

[1] ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق أحسان عباس، ج4. دار الثقافة بيروت، لبنان ط1، 1973م.

[2] إحسان عباس: **تاريخ الأندلس عصر الطوائف المرابطين**، دار الثقافة، بيروت ط 1962 ص22.

[3] محمد رضوان الداية: **المختار من الشعر الأندلسي وفصول في الشعر الغرب وصقلية وفي الموشحات والأزجال**، دار الفكر المعاصر، بيروت دار الفكر، دمشق 1992 ط3 ص296.

[4]

[5] إحسان عباس: **في أخبار الغناء والمغنيّين في الأندلس**، مجلة الأبحاث ج01 سنة 17 آذار 1963، دار الكتاب، بيروت ص12.

ب/ أدوات الموسيقى.

لم تعرف تلك الفترة الكثير من الآلات الموسيقيّة، كان أهمّها الطّبول، الّتي اقترن قرعها بالاحتفالات العسكرية والاستعداد لخروج الجيش للجهاد[1]، وعرفت الدّفوف الّتي استعملت من طرف جل طبقات المجتمع والقرن (صُنعِ من قرون الحيوانات[2])، القانون، المزامير، النفير، العود، الرباب، الأرغن (استعمل للتغّني بالموشح[3])، النّاي البوق، الروطة والشبابة (وهي عبارة عن قصبة جوفاء مزّودة بفتحات معدودة في جوانبها، لما ينفخ فيها تصدر صوتا[4])، وعرفت أدوات أخرى خاصةً ببلاد الأندلس، كالكوسات الّتي استعملها المتصّوفة في إحياء طقوسهم: وهي عبارة عن صنوج من النّحاس تشبه التّرس الصّغير، يدقّ بأحدها على الآخر فتصدر إيقاع خاص، وهي أيوّبية الأصل.

وكانت ***الطّبول الموّحدية*** في غاية الضّخامة يخيّل لسامعها إذا ضربت أنّ الأرض من تحته تهتز من شدّة دويها، وكانت معبّرة عن موسيقى الجيش وفي غزوة عبد المؤمن لافريقية كان معه أكثر من مائتي طبل، وكان بينها طبل كبير جداً مستدير الشّكل، دوره عشرة ذراع، مصنوع من خشبٍ أخضرٍ مذهبٍ[5]، إذا ضرب فيه ثلاث ضرباتٍ، علم أنّه طبل الرّحيل، كان يسمع على مسيرة يومٍ لا ريح فيه.

كما كان هناك نوع آخر من الطّرب عرفه ***المغرب*** في هذا العهد، وهو ***غناء العرب الدّاخلين للمغرب*** بأشعارهم وملاحمهم ويضاف أيضاً نوعان مُنْحَطّان من الطّرب ،كان يقوم بأحدهما ***السودان*** والآخر ***البربر*** وأخذ الطّرب يرتقى وصار يستمع إليه بعض الأمراء مثل ***أبي الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن***، وكذلك وجد ***الطّرب الأندلسي بالمغرب***.

---

[1] ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة على المستضعفين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر ط01 1963 ص402.

[2] صبحي أنور رشيد: **الآلات الموسيقية في عصور الإسلامية**، منشورات وزارة الإعلام، العراق 1975 ص314.

[3] إحسان عباس: **المرجع السابق** ص13.

[4] السيد عبد العزيز سالم: **المرجع السابق** ص155.

[5] محمد المتوني: **حضارة الموحدين** ص161.

ج/ الخطّ و الكتابة.

اكتسح الخطّ الأندلسي منطقة الغرب الإسلامي في عهد الموحدين، وكان يوجد أيضاً نوعان آخران من الخطّ، أحدهما يكتب به في السّكة والطّراز، وكان آخذ من الخطّ الأندلسي والشّرقي[1].

ونظراً لاهتمام خلفاء الموّحدين بهذا الفّن، فقد تفنّن الخطّاطون في تنويع الخطوط وتفريعها إلى عدّة طرائق مغربية ومشرقية[2]، ولم يتوقف حسن الخطّ على أصحاب المهن فقط، بل كان أبناء عبد المؤمن كلّهم حفّاظ وخطّاطون[3]، كما أنّ الخلفاء أنفسهم كانوا يجيدون الكتابة بأكثر من خطٍ، ويوقّعون المنشورات السّلمية بيدهم بخط الثلّث المشرقي[4]، وبرز في مجال الخطاطة عدّة علماء أبدعوا وتفننّوا في دقّة الخطّ من بينهم: ***عمر بن عبد الله السلمي***، الّذي كانت له جودة الخطّ وبراعة الأدوات[5] و***أبو الحكم*** الّذي كان يكتب بخطّين أندلسيين، وكان يخدم المنصور الموّحدي[6] و***محمد بن عيسى بن محمد بن الأصبع الأزدي*** والّذي كان بارعاً في ثلاثة عشر طريقة يكتب بها[7].

واحتل الخطّاطون مكانةً هامةً في المجتمع، وهذا لأنّ معظمهم كانوا من العلماء وطلبة العلم[8]، تنافس عليهم الأمراء من أجل نسخ كتبهم وتلبية طلباتهم، لأنهم مصدر إنتاج الكتب المطلوبة وخاصة النّادرة، مما جعل بعضهم يتخذ هذه المهنة مصدراً للّرزق، مثل ***محمد بن محمد الأنصاري***الّذي عُرِف بحسن خطّه، فكتب ونسخ العديد من الكتب[9]، وكذلك ***علي بن محمد بن ديسم***، الذي كان يعيش مما يكتب بخطّ يده،حيث عُرِف بأناقة وبديع أما الّذين كانوا يعملون في القصور لدى الخلفاء والأمراء، فمثلوا فئة كبار الخطّاطين، تمتّعوا برغد العيش، أغدق عليهم الأمراء وغيرهم بالمال والإقامة الحسنة.

---

[1] المنوني: **حضارة الموحدين**، ص272.

[2] المنوني: **تاريخ الوراقة المغربية** ط1. منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط 1412هـ . 1991م ص27.

[3] المنوني: **المرجع السابق** ص180.

[4] محمد المنوني: **تاريخ الوراقة المغربية** ص28.

[5] ابن الأبار. **التكملة لكتاب الصلة** ج3. تحقيق عبد السلام الهراسي، دار الفكر، بيروت 1415هـ . 1995 م. ص163.

[6] ابن أبي أصيبعة: **عيون الأبناء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ص534 . 535.

[7] ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1384. 1965 ص348.

[8] مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب 1989 ص168.

[9] ابن الأبار : **التكملة**، ج2. ص101.

[10] ابن الأبار: **التكملة**، ج3. ص234.

وقد كانت هناك ثلاث فئاتٍ من الخطّاطين: فئة كبار الخطّاطين الّذين يعملون في القصور، فئة الخطّاطين العاديين الّذين يعملون في المكتبات، وفئة الخطاّطين المؤقّتين الّذين يعملون بصفة مؤقّتة حسب الطّلب[1].

كما برعت النّساء في هذا المجال في المغرب والأندلس، أمثال ***سعيدة بنت محمد بن وفيرة***، الّتي عرفت بخطّها الجميل وأختها الصّغرى الّتي كانت تساعدها في نسخ الكتب، قال عنها بن الملك:" كانت ملازمة للقراءة والنّشر وفعل الخير إلى أن توفيّت شابةّ"[2]، وأيضاً ***ورقاء بنت ينتان الحاّجة الطّليطليّة***،كانت بارعة الخطّ[3] و***فاطمة بنت أبي أبي علي حسن بن أبي محمد بن فيرة بن حيون الصدفي***،والتي تميزّت أيضاً بحسن وجمال خطّها[4].

المبحث 03: الفنون التّشكيليّة.

أ/ التزّويق و الزّخرفة:

كان الموّحدون في بداية نشأتهم معادين لهذا النوّع من الفنون، حتى أن فقهاء وشيوخ ***فاس*** اضطروا أن يستروا الزّخرف الواقع فوق محراب جامع القرويين لما علموا بزيارة عبد المؤمن وخافوا من انتقاده لهم، لكن سرعان ما أصبح التزّويق و الزّخرفة من أهم الأمور الّتي اعتنى بها عبد المؤمن وخلفاؤه، وهذا ما ظهر في الكتب والمباني، هذه الأخيرة الّتي لازالت لحدّ اليوم ناطقة بذوق الموّحدين الّذي يجمع بين رقة الأندلس وفخامة الشّرق وبين اللّطف القّوة

وكان لتزويق الكتب اهتماماً بالغاً خاصةً المصاحف، ومن أهّم الّذين برزت أسماؤهم في هذا المجال نذكر ***الحسن يحي بن محمد القيسي القرطبي*** المعروف ***بابن الاشبيلي*** و***أبو الحسن يحي القاسي***[5]، كما تجلّت قدرتهم الفنيةّ في زخرفة جدران المساجد وتصميم المآذن والمنابر بالحفر على الخشب وتزويقه بالزّخرفة النبّاتية والهندسيةّ ولم تشمل الزّخرفة المساجد فحسب، بل شملت المدارس والقصور.

وأولى المغاربة عناية فائقة بالخطوط، فإلى جانب الخط المغربي استعملوا كافة أنواع الخطوط، كما تجلت قدرتهم الفنية في المنسوجات والجلد والنقّود، وميزّت فنون المغرب في زمن الموّحدين بالميل للتّ نّحو وأصبغوا عليها شخصيتّهم المحليةّ المتشبثّ ة بعناصر الزّخرفة المشرقيةّ.

---

[1] حامد الشافعي: **الكتب والمكتبات في الأندلس**، ط1، دار قباء للطبع والنشر، القاهرة 1418 هـ - 1998م ص61 - 62.

[2] ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة** س8، ص487.

[3] ابن عبد الملك: **المصدر السابق**، س8، ص497.

[4] ابن الأبار: ج4، ص256.

[5] محمد المنوني: **الفنون** ص267.

ومن أبرز ملامح التزّويق والتأّنق نلمسها في **مصحف عثمان بن عفان**، الّذي حظي بمكانة عالية لدى عبد المؤمن وخلفاؤه، حيث أقام له احتفالاً عظيماً بدخوله إلى المغرب، وكان يُحمل في مقدّمة كلّ بين يدي الخليفة وجلبلوله الصنّاع و المتقنين من سائر البلاد، حيث عظمت فيه الزّخارف والتزّويقات الّتي لم يشهدها العالم الإسلامي لا قبله ولا بعده، حيث كُسي من الذّهب والفضّة بصنائع غريبة ونضّمت صحيفته وجوانبه بفاخر الياقوت ونفيس الدّر، وعظيم الزمرد وكسي المصحف بصوان من السّندس الأخضر ووضع له محمل غريب الصنعة بديع الشّكل والصبغة، مغطى كّله بضروب من التّرصيع وفنون من النقّش بالذّهب وحتى المحمل الّذي كان يوضع عليه،كانت له بدائع وتنسيقات خاصّة، إضافةً إلى الكرسي المرصّع الّذي كان أيضاً يوضع عليه، والّتي تميز بجودةٍ عاليةٍ في التقّييم والتّرتيب والتّجميل[1]، وكان خلفاء الموّحدين يحملون هذا المصحف الكريم بين أيديهم ويوضع على ناقة حمراء، عليها من الحلي النفّيس وثياب الدّيباج الفاخرة ما يعادل أموالاً طائلة، وجعلوا تحته بردعة من الدّيباج الأخضر، إضافةً إلى **مصحف عثمان بن عفان**، كان يوجد **مصحف بن تومرت**، الّذي يكون خلف تلك النّاقة في مواكبهم، محلى بالفضّة ةهّقو بالذّهب[2].

ب/ فن النّسيج والطّرز.

لجأ سكّان المغرب لسد حاجياتهم من الأثاث واللّباس إلى صناعة المنسوجات والأفرشة والألبسة، وساعدهم في ذلك توفر المادّة الأّولية من صوفٍ وكتانٍ وحريرٍ وجلودٍ ببلادهم ، فاشتهرت مدينة ***أغمات*** بتفننها في إنتاج أنواع من الملابس الصوفية والعمائم وسّوقها تجارها إلى ***بلاد السودان*** و***بلاد رجاجة***، الّتي تخصّصت في أنواع ثمينة من الأقمشة، ولقيت استحساناً من نساء البلاط الموّحدي لجودتها ودقّة منسوجاتها، ولم تعادل أقمشة بلاد رجاجة في الجودة والإتقان سوى أقمشة ***تارودانت***[3] ، إذ هي مما لا يقدر أحد على عملها بغيرها من البلاد[4].

---

[1] المنوني: **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، ط2، 1398هـ . 1988م ص267.

[2] المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تصحيح محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، مصر، ط1، 1949م ص166.

[3] بولقطيب الحسين: **الحياة الإقتصادية للحلف القبلي المصمودي في القرنين 5 و 6 هـ** ، مجلة الاجتهاد، العدد 18، بيروت، دار الاجتهاد، شتاء العام 1413 هـ . 1993م ص39.

[4] الإدريسي: **نزهة المشتاق**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م ص39.

وتنوعت في ***مرسيّة*** أنواع الحلل والدّيباج، ومنها كانت تجهز العروس في المغرب، والحلل هي عبارة عن نسيج حريري يحلى بخيوط من ذهب، أما الدّيباج فهو نسيج حريري يدخل في نسيجه الذّهب، وثمن الحلّة الموشية (الموشي الحرير الذّهبي) يتجاوز آلاف الدّنانير، وهذا النّوع كان ينتج للملوك والخاصّة [1].

كما نجد أنواعاً أخرى من النّسيج تفنّن فيه الموّحدون كالسقلاطون، وهو نسيج الحرير المطّرز بالذّهب وظهرت عدّة مراكز ضاع صيتها في دقة وفن المنسوجات ***كمدينة جنجالة*** و***قونكة*** الّتي تفنّت هي الأخرى في صنع الثّياب البيض القليلة من الكتّان والقطن والصّوف، بحيث لا يقّر بينها وبين الكاغد لرقتها وبياضها، ويعّمر الثّوب الّذي كان يصنع ***بباكيران*** ويباع بأثمانٍ غالية [2].

كما ساعد اهتمام أهل الأندلس بتربية دودة القز إلى تنّوع المنسوجات وازدهارها حيث أنّه كان ***بجيان*** وحدها أزيد من 3 آلاف قرية تربّي دودة القز[3]، واحتلت ***مدينة ألمرية*** مكانة الصّدارة في هذه الصّناعة فقيل عنها :"مدينة ألمرية كانت في أيام الملثّم مدينة الإسلام، وكان بها من طرز الحرير ثمان مائة طرازٍ ، يعمل منها الحلل والدّيباج والسّقلاطون والاصبهاني والجرجاني والثيّاب المعينة والخمر والعتابي والمعاجز وصوف الحرير"[4].

ج/ الهندسة المعمارية.

نظراً لتأسيس المدن الجديدة، اهتّم الموّحدون بصنعة البناء والمعمار، فبنيت الدّور والقصور، وشيدّت القلاع والحصون والقناطر والجسور، وأكثروا من البنّائين واهتموا بالمهندسين، فكان هناك صانعوا الآجر والكلاسون وصانعوا الجّير، وجلبوا أيضاً من الأندلس والمشرق أكبر المهندسين الحاذقين، الذين اشرفوا على مشاريع كبرى ***كابن باسة*** الّذي بنى صومعة إشبيلية و***الخولاني*** الّذي أتقن بناء أرضيّة مسجد القروين.

وصاحبت براعة الصّنعة واتقانها سرعة الانجاز، حيث أنشأت مدينة ***جبل الفتح*** في عام واحد على اتساعها وضخامتها، واشتهر المغرب الأقصى بعدة مهندسين أمثال ***علي المغاربي*** الّذي قام بناء مئذنة مسجد إشبيلية، وفي ***فاس*** اشتهر في الهندسة المعمارية ***أبو الحسن محمد العطار***[5] ، كما اشتهر ***الحسن الفهمي*** في ***مراكش*** بحسن

---

[1] المقري: **نحح الطيب**، ج3، ص 219 .221.

[2] دنش عصمت: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين" عصر الطوائف الثاني"**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1 1988 ص183.

[3] الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص183.

[4] الإدريسي: **المصدر السابق**، ص562.

[5] ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص130.

وبراعة البناء[1]، واستعان ***المنصور الموحدي*** بالبنّائين المهرة في بناء جامع مراكش، حيث بنو مقصورة عجيبة مديرة بحيلٍ هندسيةٍ، بحيث تنصب إذا استقر المنصور ووزراءه بمصلاه منها، وتختفي إذا انفصلوا عنها[2].

وكانت المكانة الّتي حظي بها البناءون عند خلفاء الموحدين دافعاً من أجل الإتقان وروعة التّصميم والهندسة، إذ خلفوا عمران لا مثيل له من زخرفة وضخامة وحسن التّشييد ودقّة البناء، ففي منار الكتيبة طبقات متوالية من الغرف المقسومة والسقف المنعرج، والجديد في الكتيبة هو ضخامة برج المئذنة وقبلتها، ويمتاز بالأروقة وصفاء رسوم الأقواس وتجانس الصّحن المركزي وتناسق الفسيفساء[3].

المبحث 04: الفنون التّطبيقية.

أ/ صناعة الورق والتّجليد.

نظراً لاهتمام الموّحدين بالجانب الفكري والعلمي، ولكثرة التآليف في شتّى العلوم والمجالات،حيث برعوا في مجال صناعة الورق وتجليد الكتب. فقد انتشرت صناعة الورق في المغرب والأندلس، ومن أهم المدن التي اهتمت وبرعت في هذا المجال نجد ***غرناطة***، ***بلنسية*** و***شاطبة***، والّتي كانت تعد من أشهر المدن الإسلامية في هذه الصناعة[4] آنذاك، والّتي يقول عنها الحميري:" لا يعمل بها كاغد لا نظير له بمعمر الأرض يعم المشرق والمغرب"[5]، و***مدينة فاس*** الّتي بلغ عدد معامل الورق 400 معمل أيام المنصور وابنه الناصر الموحدي[6]، وكان يعرف أصحاب صناعة الورق بفاس بالكغادّين عند حي باب الحمراء، كما اشتهرت مدينة ***سبتة*** هي الأخرى وتفننت في صناعة الورق وصار ينسب إليها، واشتهرت أكثر من ***شاطبة*** في هذا المجال[7].

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي: **المصدر السابق** ص269.

[2] السلاوي: **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، الجزء2، تحقيق جعفر الناصري، مكتبة دار الكتاب، الدار البيضاء 1954م ص140.

[3] Hemri terrrasse **l art lispano mauresque de origines au 13 siecle** elections GVAN oest paris 1932. P 379.

[4] المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، طبعة ليدن 1324 ـ 1906 ص239.

[5] الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط2، مكتبة لبنان، بيروت 1405هـ ـ 1984م. ص172.

[6] محمد المنوني: **حضارة الموحدين**، ط1، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب. 1409هـ ـ 1989م ص172.

[7] علي الجزنائي: **جني زهرة الأسفي بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، ط2، المطبعة الملكية الرباط، المغرب 1411هـ ـ 1991م ص44.

كما يعد المغرب والأندلس أهم طريق دخلت به صناعة الكاغد إلى أوروبا[1]، وتفنّن الموّحدون في صناعة الورق حتّى أن أحد المغاربة كتب إلى الكامل الأيوبي في ورقة بيضاء، إذا قرأت في ضوء السّراج كانت فضية وإذا قرأت في الشّمس كانت ذهبية، وإذا قرأت في الظّل كانت حبرا أسودا[2].

وبازدهار صناعة الورق، ازدهرت مهنة الوراقة الّتي تتمثل في عملية الاستنتاج والتّصحيح والتّجليد والتفّسير، وتعتبر الفترة الموحدية العصر الذّهبي للوراقة والتّجليد، حيث كانت فيه لمسات غاية في الّروعة والّرونق.

ب/ فن الصباغة.

كان أهل المغرب يصبغون النّسيج والّصناعات الجلديةّ، وكانت معروفة بالألوان الأّولية والمركّبة[3]، ويذكر ***ابن أبي زرع*** أنّ ديار الّصباغ في مدينة فاس بلغت مئة وستة عشر دارا[4].

ومن الموارد المستعملة في الّصباغ، النيّلة والقرمز و الّزعفران[5]، وا ستعمل بعضهم ملّاد لتبييض الغزل، وكانوا يشترونه لهذا الغرض، لكن بعض باعته كانوا يغشون فيه فاسداً لا يبيض[6]، واستعملوا أيضاً الكبريت لتبييض أكسية الصوف، بينما استحدث آخرون صباغاً يصبغ به الّصوف الأحمر يصنع من الخمر، ويسمى"الطرطار"[7] ، وقد تحّرج البعض من استعماله والمتاجرة فيه لأنه صنع من محرم، واختلف الفقهاء حول بيعه والتّجارة فيه بين من كرهه ومن أجازه[8].

---

[1] محمد الأمين بلغيث: **الحركة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02. 1427هـ .2007م ص106.

[2] المقري: **نهج الطيب** ج4. ص326. 327.

[3] أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ**، دار الشروق القاهرة بيروت، ط1، 1413هـ . 1983م ص231.

[4] ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، منشورات المنصور للطباعة و النشر، الرباط، المملكة المغربية طبعة 1980 ص48.

[5] أحمد موسى: **المرجع السابق** ص231.

[6] البرزلي: **أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي**، فتاوى البرزلي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة. دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002 ص302. 303.

[7] أحمد موسى: المرجع السابق ص231.

[8] الونشريسي: المعيار **المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب**، ج6، تحقيق محمد حجي و آخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1401هـ . 1981م ص314 . 315.

ويذكر ***الحسن الوزان*** أنّ أهل الجبال في المغرب الأقصى كانوا يلبسون ثياب مصنوعة بلحاء جذور شجرة الجوز[1]، مما يؤكّد استعمال هذا اللّومن الصّباغ في بلاد المغرب.

ج/ضرب السكة: فنّ المسكوكات.

تساهم العملة في إعطاء صورة صادقة عن الأوضاع الاقتصادية والسياسيّة للدّولة، فهي تدل على مدى قدرتها وقوتها سياسياً واقتصادياً، وقبل الحديث عن ضرب العملة عند الموّحدين، نشير أولّاً إلى عملة المرابطين لمعرفة ما مدى استقلالية الموحدين بعملتهم أم هي تقليد لعملة المرابطين.

كانت العملة في عهد المرابطين هي "الدّينار الذّهبي"، الّذي كان عماد الاقتصاد في الدّولة، وقد ذكرت هذه العملة في الآفاق في المغرب والأندلس والشّرق، وليس من الشّك أن إقبال النّاس على نقد الدّولة يدلّ على حسن ثقافتهم بها، كما تدلّ كثرة المعاملات والتدّاول على أن الدّينار المرابطي كاد يصبح نقداً دولياً إذ وصل إلى **القسطنطنية**، وعند البالغة يقال أن الدّينار المرابطي هو"دولار العصور الوسطى".

وقلّد ***ألفونسو الثّامن*** في ***طليطلة*** بضرب دنانير عرفت باسم ألفونسو المرابط عام 1173 م، وهذا دليل على تقّوالعملة، واستخدم المرابطون العملة الفضيةّ المعروفة بالدّرهم الفضّي، وكانت تسّمى " خروبة" وكان وزن الدّينار[2] المرابطي 4,72 غ، وهذا الوزن عرف به دينار ***عبد الملك بن مروان***.

وفي عام 464 هـ، ضرب المرابطون ديناراً ذهبياً باسم ***الأمير أبي بكر بن عمر***، في دار السكّة بمراكش وبدّل الأمير ***يوسف بن تاشفين*** السكّة في عام 473هـ، وضرب الدّينار باسمه وكان من التبّر.

ومنذ تأسيس دولة الموحدين ، اتخذوا عملة نقدية من ذهب وفضة، وتعاملوا بها مع الناس تعبيرا عن كيانهم السياسي والاقتصادي، وامتاز عصر الموحدين بظاهرة انتشار دور السكة وتزايد عددها، خصوصا بعد ضم الأندلس وتوحيد كل أقطار المغرب الإسلامي[3]، ومن أهم دور السكة ببلاد المغرب في العهد الموحدي كانت في ***مراكش***

---

[1] الوزان الحسن بن محمد الفاسي: **وصف إفريقيا**، ج1، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02. 1983م ص97.

[2] حمدي عبد المنعم محمد حسين: **التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، مصر 1997 ص319.

[3] أبو زكريا يحي: **الدار المكنونة في نوازل مازونة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1335 ج2. ص251.

و***فاس*** و***تلمسان*** و***بجاية***، أما في الأندلس فوجدت في ***ألمرية*** و***غرناطة*** و***الجزيرة*** و***دانية*** و***بلنسية***، وكانت عملتها مربعة ومركنة ودائرية.

وكان الدّينار الموحدي ضعف الدينار العادي في الوزن، والدّينار ثلاثة دراهم، والأوقية عشرون، وعرف الدّينار الموحدي عند النصارى باسم ***دوبلا Dobla***، وكانت المسكوكات الموحدية على مستوى رفيع في دقة النقش ونقاوة الذهب، وكان الدّينار يزن 4 غرامات أي 3,96 غراما[1].

وذكر ابن خلدون أن سكة الموحدين التي سنها لهم المهدي بن تومرت مربعة الشكل، و أمرهم أن يرسموا في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه، ويملأ من أحد الجانبين، والجانب الآخر يكتب داخل دائرته في ثلاث سطور لا اله إلا الله الأمر كله لله لا حول ولا قوة الا بالله، وفي الوجه الآخر في ثلاث سطور الله ربنا محمد رسولنا المهدي إمامنا ونسبت الدنانير إلى أمراء الموحدين، فوجدت الدينار الموضي والدرهم الموضي، ومنها أيضاً عملة ***بن يوسف بن عبد المؤمن***، ووجدت الدنانير اليعقوبية نسبة إلى ***الخليفة يعقوب المنصور***، وكانت قيمتها تعادل دينارين من الدنانير اليوسفية، كما أن ***يعقوب المنصور*** أدخل تغييرات على نظام العملة، فأحدث ديناراً ضخماً، ويثبت ***ابن القطان*** أنه وجد زنة الدينار اليعقوبي أربعة وثمانين حبة من الشعير الوسط، وأن الدينار يزن ثلاث دراهم موحدية، لكن المأمون غيّر تقاليد الموحدين في تربيع السكة، وجعلها دائرية ومحى اسم المهدي منها[2]، واعتبر الموحدون غش الدنانير جريمة عظيمة، لذلك كانت اختراعاتهم ذات دقةٍ وسريةٍ في العمل.

د/ فن الطبيخ.

في بداية دولة الموحدين، سادت حيلة التقشف والزهد، وهذا يعني أن الناس اكتفوا بما حضر من الطعام، فلم يكن لديهم أنواعٌ كثيرةٌ من الطعام والأطباق، وهذا الأمر منطقي ينطبق مع عقلية زعيمهم ***محمد بن تومرت*** الذي عُرف عنه التقشف ونبذه لحياة التّرف، فكان طعامه اليومي رغيف من صنع أخته تصحبه كمية من الزيت أو السمن.

ولكن حياة التقشف هذه لم تدم طويلا، فبدخول دولة الموحدين مرحلة جديدة باحتكاكهم بأهل الأندلس وأخذهم حياة الترف عنها، والتي من متطلباتها، التنوع في أصناف الطعام، فكان طعام الطبقة الحاكمة والمقربين إليها

---

[1] الونشريسي أحمد بن يحي: **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا و الأندلس و المغرب**، اشراف محمد حجي دار الغرب الاسلامي. ج3. ص294 . 295.

[2] محمد المنوني: **العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين**. ط2. الرباط. 1397هـ. 1977م. ص257.

والأثرياء متنوعاً جداً ومكلف، و تكّون من أنواع اللّحم كلها، ومن هذه الوصفات "الثريد"[1] الذي هو عبارة عن أنواع مختلفة من اللّحم والدّجاج ممزوج بكثير من التوّابل والبهارات واللّحم والبيض و يلّتون، كما وجد طبق آخر يسّمى الأحرش، ويسّميه أهل مراكش بسفيريا، وهو مصنوع من لحم الغنم المدقوق المنقوع بالخل و يلّت والثوّم والّتوابل مع القليل من البيض، يمزج الخليط ثم تأخذ منم كرات صغيرة تلقى في الزيت[2].

وكان أيضا ما يعرف بالثومية والمكونة بالثوم المدقوق والدجاج وقوانصها، وتقلى في الزيت، ويجمع مع الدّجاجة الملح والفلفل والزنجبيل والزعفران واللّوز مقشر، ويترك حتى ينضج ويخرج من القدر ويصب في إناء نظيف، وكان أيضاً هناك طبق يعرف بالصنهاجي الملوكي، مكون أساساً من لحم البقر ولحم الغنم وفراخ الحمام واليمام وكذلك العصافير ويرش فوقه لوز مقسوم ويطهى في الفرن.

كما اشتهر الموحدون أيضاً بطهي الأمخاخ، التي كانت تعتبر طبق رئيسي في موائد الملوك، فلم يقتصروا على نوع معين، بل أكلوا أمخاخ كل ما يذبح من الحيوانات والطيور وعرف عليهم أيضاً شواء عجل كامل، وكذلك خروف كامل وأيضا طبق التفايا المكونة من لحم الغنم السمين مع اللوز المقشر المحلول بماء ورد البيادق[3] وطبق جشيشة وهو مكون من القمح المطحون الخالي من النّخالة والمعجون بالماء والحليب، وعندما ينضج يخلط عليه القليل من اللّحم ويُصب عليه من الدجاج المطبوخ.

وعرفوا أيضاً ما يعرف بالمجبنات، التي اشتهرت بها العديد من المدن الأندلسية ***كاشبيليا***، وهي نوع من القطايف الّتي يضاف إليها الجبن في عجنها[4].

وقد برعوا في إعداد المعجنات الطليطلية، والتي كانت تصنع من دقيق القمح النقّي على شكل هلال وتُحشى بخليط من الجبن الطري وتخبز فوق النار، وعندما تنضج تغطى بطبقة من العسل والزبدة ومزيج من السكر والقرفة، وكانت هذه الوجبة تقدم في حفلات الأعراس والختان والنزّهات، وكذلك الثردة وهي عبارة عن عجين من

---

[1] مجهول: **الطبيخ في المغرب والأندلس**. ص32.

[2] دافيد وينز: **فنون الطبخ في الأندلس**، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز الدراسات الوحدة العربية والإسلامية في الأندلس. ج2. نوفمبر 1999م. بيروت. ص102.

[3] جمال الدين طه: **الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصر المرابطين والموحدين**، دار الوفاء لدنيا للطباعة و النشر، الاسكندرية. ط1. 2003 ص186. والطبيخ. ص32.

[4] دافيد وينز. ص104.

الدرمك، يعني الدقيق الأبيض النقي، يعمل منه أربعة رغائف رقاق، تقلى في زيت عذب، ثم يضاف إليها الفستق واللّوز والصنوبر المقشر والسكر، وتصب في صحن وترش بماء الورد وتقدم[1].

وقد برع الموحدون في صناعة الحلويات منها كالسنبوسك الملوي، وهو عبارة عن سكر أبيض ممزوج بماء الورد واللوز المهشم وبعض التوابل، وعرفت أيضاً حلوى الترافست التي تصنع بتقنية رغيف الرقاق حتى يصبح دقيقا ويضاف عليه كمية من الماء و منها من العسل مع مزيج من الزّعفران، ويخلط الكل حتى يصبح عجينة متماسكة، ويفرغ في جفنة وينثر عليه اللوز ويضع في وسطه حفرة[2].

وكانت تصنع للخلفاء في مراكش فطائر وحلوى سميت بالقاهريات، وهي عبارة عن سكر ولوز مدقوق دقا جيدا، يخلطان ويعجنان بماء الورد الذكي، ويفوه بالأ فاويه فلّيوة كالقرفة والدارصيني والسنبل والفلفل والخولجان وجوزة الطّيب، ويضرب الكل تضريباً جيداً، ثم يصنع منه حلق صغار على شكل الكعك، ثم يؤخذ من دقيق الدرمك رطل أو نصف رطل، فيعجن بخبير الملح ويترك حتى يختمر، ثم يؤخذ شيء من النشا، ثم تؤخذ مقلاة تنظف تنظيفاً جيداً ويوضع فيها زيت عذب وإن كان دهن لوز حلو كان أجود، وترفع على النار، فإذا غلى الزيت أخذ من تلك الحلق المصنوعة واحدة بعد واحدة وتلقى في الزيت حتى تطبخ وتحمر قليلاً وترص وترتب ترتيباً حسناً، ثم يصب عليها عسل شهد منزوع غلوة أو شراب جلاب الضفائر وراس ميمون، وهذا النوع من الحلويات تفنّنت السورانيات في عمله[3].

وكذلك حلوى الهريسة التي كانت سلعة رائجة في الأسواق، والإسفنج المقلي والمعسل والكعك والشهدة والخشلان والمشماش والقطايف والعباسية و الّلزيبة والملبس المعسل و اللوز يمزج بالسكر والقباط المحشو خبيصة برمان.

إضافةً إلى هذا، فقد تفنن الموحدون في صناعة الخبز سواء كان من القمح أو الشعير، ومن أنواع الخبز نجد الطابوني المغموم، المشوك، الرقاق، اللبق، المشطب، المرشين الاصفهاني وخبز الماء، وكان خبز قنتورية بالأندلس من أحسن الأنواع، كما عرفوا أيضا خبز العرس الدخن و خبز الشليم وخبز الذرة وخبز شجرة الأرز، وصنعت أيضاً أنواع كثيرة من الوصفات بالقمح، من بينها العصائر والكسكسي والبركوكس، وكذلك السخينة، وعرفت أيضاً أنواع كثيرة

[1] دافيد وينز. ص105.

[2] جمال أحمد طه. **الحياة الاجتماعية**. ص177.

[3] مجهول: **الطبيخ**.ص90.

من الوصفات من بينها تاحفصت المعروفة بمراكش، وهي نوع من التفايا المقلية المكونة من اللحم المقطع إلى قطع صغيرة ممزوجة ببعض التوّابل[1].

وطعام البلاحة المكونة من اللّحم البقري والغنمي السمين مقطع صغير، ويضاف إليه الملح والبصل والكزبرة والزيت ،كما اشتهر الموحدون بأطباق كثيرة من الخضر منها السبانخ، التي تعد مكّوناً أساسياً في أطباق كثيرة وطبق البيسار المكون من فول مطبوخ مع لّلوة والحليب والثردة والسلق، والنيسابورية المكونة من السبانخ والجزر والفستقية، والكوكين المصنوعة من السلق والحمص، والسماطخية والحريرة التي هي حساء بالفلفل والثوم.

وعرفت كذلك المخللات كالباذنجان المخلل ومخلل الدجاج،كما اشتهروا بطهي السمك خاصة في المناطق الساحلية، ومن تلك الأطباق نجد السنبوسك البرزف والأطرية والميرة والعدس باللحم المقلي والبرانية والبنادق والملكة والمذهبة.

هـ/ المشروبات.

ويأتي على رأسها الخمر الذي كان المهدي متشدداً في تحريمه، وتبعه في ذلك عبد المؤمن والمنصور الذي أمر بإراقة كل المسكّرات، حيث وجه رسالة إلى كل الولايات بإخلاء الحوانيت التي يباع فيها الخمر، وجعلها حوانيت مخصصة لما هو حلال من المبيعات[2]، ورغم المجهودات التي بذلها الموحدون للحد من الظاهرة إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك، على الرغم من أن الله تعالى قام بتحريمها "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"[3]، وصنع الخمر من العنب والتين، وكانت المصنوعة من العنب الأكثر انتشاراً في المغرب والأندلس وكانت تعرف بلّلو وهذا المشروب إذ لم يغلى كثيراً لم يكن مسكراً ويسمى بالرب الحلال وهو طبيخ عنب خائر فقط.

ومن المشروبات المسكرة التي تعاطاها أهل السوس شراب الأنزير هو حلو لكنه يفعل بشاربه ما يفعل الخمر وهو مصنوع من عصير العنب الحلو المطبوخ على النار إلا أن يذهب منه الثلث ويشرب بعدها ولم ير أهل السوس في ذلك حرج لأنهم اعتبروه مشروب حلال[4] وعرفت مشروبات كثيرة حلالاً منها مشروب عرف بالجلاب وهو نوع من

---

[1] مجهول:**المصدر السابق**. ص92. وجمال أحمد طه: **الحياة الاجتماعية**. ص191. 193.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، قسم الموحدين. ص173.

[3] سورة المائدة، الآية 90.

[4] الإدريسي، **نزهة المشتاق**. ص103.

شراب العسل أو الزبيب وأيضا يصنعون شراب الورد والبنفسج واعتاد الأندلسيون على شرب الماء المعطر دائماً سواء بزهر البرتقال أو الورد ووضعوا أيضاً مشروب السكر وقاموا بنقع مدقوق الزبيب في الماء وهو ما يعطي مشروباً حلو يصغى ويشرب بعدها.

وكان ينصح بتناول مشروب ما بعد كل المجبنات الدسمة والعسرة الهضم[1]، أما القهوة فقد ورد ذكرها في أشعار وأزجال ابن قزمان إلا أن القهوة التي ذكرت لم تكن القهوة المعروفة عندنا حيث قصدوا بها الخمر في الغالب مثلها مثل الشاي الذي كان ظهوره متأخراً على عكس النعناع الذي كان واسع الإستعمال آنذاك[2].

[1] دافيد وينز: **المرجع السابق**. ص103.

[2] جمال أحمد طه: **المرجع السابق**. ص209.

الفصل الثّالث:

المعمار عند الموحّدين.

تمهيد.

يعد البناء والتعمير مرآة صادقة تعكس الوجه الحقيقي لأحوال المجتمعات، وتبين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، وتوضح مدى تطور الدول وازدهارها أو ضعفها وانحطاطها، فالعمران هو بمثابة اللّباس الذي يرتديه المرء، إذ ينبئ ثوب الشخص عن أحواله ومستواه وإلى أي طبقة ينتمي، وكذلك العمران يعبر عن هوية المجتمع وأحواله.

المبحث 01: الموحدون والبناء

أ/ نظرة الموحدين للبناء:

شهدت بلاد المغرب والأندلس على حد سواء ازدهاراًونشاطاً كبيراً في حقل البناء والتعمير، خاصة مع قيام دولة الموحدين، حيث أولى خلفاء الموحدين جانب البناء والتعمير والتشييد اهتماماً كبيراً[1]، فقد أنشئوا الكثير من المدن الجديدة، وعملوا على تزويدها بكل ما تحتاج إليه من منشآت مدنية وعسكرية دفاعية، ومن المنشآت المدنية التي أنشأها الموحدون نجد المساجد والمستشفيات والمدارس والفنادق والحمامات والقناطر وغيرها من المنشآت الحيوية الأخرى[2].

في عهد الموحدين شهدت الكثير من المدن المغربية والأندلسية ازدهاراً كبيراً، حيث أدخلت عليها التعديلات وأقيمت بها العديد من المنشآت الجديدة[3]، من بينها ***مراكش*** و***رباط الفتح*** المغربيتين، ومن أهم المنشآت التي اهتموا بها هي القصور والمساجد، ***فبعد المؤمن بن علي*** اهتم كثيراً بعملية البناء والتشييد، حتى أنه أمر بتعمير مدينة جديدة هي ***مدينة رباط الفتح***، وأنشأ بها كل ما هو ضروري وحيوي[4].

فهّمة وروح التشييد لم يقتصر على عبد المؤمن، بل بقيت عالية عند خلفاء بنى عبد المؤمن كلهم، فابنه ***أبو يعقوب يوسف*** واصل على نهج أبيه، وأنشأ الكثير من المنشآت مثل المساجد والقصور، وحتى المدن خاصة في الأندلس، ولما تمركز المنصور على الحكم، عرفت حركة البناء والتشييد دفعاً جديداً ازدهاراً كبيراً، وكان ذلك طول فترة خلافته إذ يقول المراكشي:"كان مهتماً بالبناء طوال أيامه لم يخل من قصر يستجده أو مدينة يعمرها"، كما أن في

[1] عبد الواحد المراكشي: **المعجب في ذكر أخبار إفريقية والمغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الإسكندرية، القاهرة.1950. ص271 .272.

[2] ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق.** ص411.

[3] ابن صاحب الصلاة: **نفسه.** ص412.

[4] عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، مؤسسة الخانجي، القاهرة. ط02. 1967 ص332.

عهد المنصور حققت الدولة الموحدية الكثير من الانتصارات العسكرية الباهرة، التي قام بتوظيف عائداتها في أجمل المباني وأروعها"[1].

يذكر ***بن أبي زرع أبا يوسف يعقوب المنصور***، لما جاز إلى الأندلس لغزو الأرك المذكور، أمر ببناء قصبة مراكش وبناء الجامع المكرم الذي بإزاء القصبة وصومعته، ومنار جامع الكتيبة، ومدينة رباط الفتح من أرض سلا ومدينة جامع حسان ومنارته[2].

وبعد المنصور عرفت حركة البناء والتعمير نوعاً من التراجع، ويعود ذلك إلى تراجع سلطة الموحدين، فبعد أن كان الخلفاء مهتمين ببناء المدن وتزويدها بالمنشآت العسكرية لمقاومة الأخطار الخارجية، التي أصبحت تهدد كيان الدولة، فالنصارى تكالبوا على المدن الأندلسية واستردوا بعضها، وفي المغرب ظهرت دويلات فتية، راحت تنافس دولة الموحدين، وتعمل على أخذ سلطانها، منها الدولة المرينية.

ب/ طابع البناء

لقد ارتبط طابع البناء في الغرب الإسلامي بموقعه الجغرافي وبالظروف التي مرت بها المنطقة أيام الموحدين، وبدخول المسلمين إلى بلاد الغرب أيام الفتح، نقلوا معهم خبراتهم في طريقة البناء، لكن المغاربة طّوروا أساليبهم وطرقهم على مر الأيام والسنين، فاكتسبوا طرازاً خاصاً بهم وخطاً فنياً يميزهم، ولكن المؤثرات الشرقية ظلت قائمة ليبقى الاحتكاك الدائم من خلال طريقة بناء المساجد والحمامات[3].

كما كان للأندلس تأثير على عمران المغرب وعمارته، خاصة أيام الموحدين، حيث كان لها ارتباطاً كبيراً بفضل الوحدة السياسية التي شهدتها المنطقة، فقد استعان خلفاء الموحدين بخبرة أهل الأندلس، الذين برزوا كثيراً في هذا المجال، من بينهم ***الحاج يعيش المالقي*** الذي أستعين به في بناء ***مدينة جبل الفتح***، و***أحمد بن باسة*** الذي استعان به الموحدون كثيراً في إنشاء القصور والمساجد وغيرها من المنشآت العامة، وحتى أسرى النصارى الذين كانوا بالمغرب استغلوا في عملية البناء والتشييد[4]، إذ يقول الحميري، ثم رجع المنصور بعد انتصار في ***الأرك*** إلى ***إشبيلية*** ظافراً، وأقام

[1] ابن أبي زرع: **المصدر السابق**. ص127.
[2] بن أبي زرع: **المصدر السابق**. ص126.
[3] حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر. ط01. 1970. ص384.
[4] ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**. ص139.

مدة ثم غزا ***بلاد الجوف***، فحاصر ***ترجالة*** ونزل على ***بلنسية*** ففتحها عنوة وقبض على قائدها يومئذ مع مائة وخمسين من أعيان كفارها، ووجههم لخدمة بناء الجامع الكبير مع أسرى الأرك[1].

وبالإضافة إلى استفادة المغاربة من خبرة الأندلسيين، أصبح بعض أبنائه بعد الاحتكاك والممارسة لأعمال البناء يشاركون فيها في الأندلس والمغرب،

وفي بداية دولة الموحدين، لقيت الزخرفة معارضة شديدة وذلك إقتداءً بتعاليم بن تومرت الدينية، في البعد عن النقش والزخرفة، لكن بدخول دولة الموحدين مرحلة الازدهار واستعانتهم بخبراء الأندلس، أصبحت مبانيهم ناطقة بذوقهم في الزخرفة التي تجمع بين رقة الأندلس وفخامتها وقوة بلاد المغرب[2].

المبحث 02: المنشآت المدنية

أ/ المدن.

في عهد الموحدين أنشأت الكثير من المدن في المغرب، وكان لهذه المدن دورها الحضاري الكبير والفعال في تقدم المنطقة وازدهارها، وذلك لما اشتملت عليه من منشآت اقتصادية واجتماعية يحتاج إليها الناس لمزاولة حياتهم اليومية بأكثر سهولة، وشكلت هذه المدن مراكز جلبت السكان إليها من شتى المناطق المجاورة وغير المجاورة، حتى أن العديد من المدن اكتظت بالسكان[3]، ومن بين المدن التي أنشأها الموحدون، ***مدينة رباط الفتح*** و ***مدينة البطحاء بالمغرب الأوسط*** و التي كانت تعرف ***بالدرة***، كانت تقع على ***نهر الشلف***، و كان بناؤها سنة 555هـ.

بالإضافة إلى المدن التي أسسها الموحدون، فإنهم قاموا أيضاً بتحديد بعض المدن، وتزويدها بما ينقصها من منشآت، ومن هذه المدن ***مدينة تاجرا*** التي جددها ***عبد المؤمن***[4] و***مدينة مراكش*** التي لقيت اهتماماً كبيراً من طرف خلفاء الموحدين، فعند اكتظاظ هذه المدينة بإمكان عمل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على إنشاء مدينة أخرى، تكون امتداداً للعاصمة مراكش، وكان المنصور هو المكلف بالإشراف على هذا المشروع، وعند وفاة ***أبي يعقوب***

[1] الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، مكتبة لبنان، بيروت. ط02. 1405هـ.1984. ص13.
[2] الحسن علي الحسن. **المرجع السابق**. ص 377. 378.
[3] مجهول: **الحلل الموشية: المصدر السابق**.ص157.
[4] ابن أبي زرع: **المصدر السابق**. ص183.

يوسف سنة 580هـ، تواصل مشروعه في السير، وحشد له الخبراء والصناع والآلات، وأمرهم ببذل كل جهد وفن في سبيل إتقان بنائها، وسماها ***الصالحة***، وضمت القصور والأسواق والفنادق[1].

❖ **أمثلة عن بعض المدن.**

✓ **مدينة رباط الفتح.**

تقع ***مدينة رباط الفتح*** على الضفة اليسرى لنهر أبي الرقراق، أقيمت على يد المرابطين، أولاً على يد الأمير المرابطي ***تاشفين بن علي بن يوسف***.

وعند قيام دولة الموحدين، أوفى المهدي بإعادة بناء هذه المدينة، وقد عمل عبد المؤمن على تنفيذ هذه الوصية، حيث بدأ في بناء حصن ومدينة في الموقع التي كانت الجيوش المرابطية قد اتخذته رباطاً في عهدهم، وسميت هذه المدينة باسم المهدي تحت اسم **المهدية** تيمناً باسمه، وكانت في البداية قاعدة عسكرية لتجهيز الجند[2].

حرص عبد المؤمن على تعمير هذه المدينة، وكان أول شيء قام به، تزويدها بالمياه العذبة لتتمكّن من استقبال السكان، واستعان عبد المؤمن بعرفاء البناء المغاربة، وهذا راجع لخبرة المغاربة العالية في عملية تسريب المياه في جوف الأرض، ووفت أصول حسابية دقيقة، وبعد تولي يوسف الخلافة، عمل على توسيع المدينة، فبنى أسوار من جهة الشمال والغرب، لكنه توفي قبل بنائها، ليستلم بعده ***يعقوب المنصور*** المهام في إتمامها والذي عرف عنه شغفه في البناء، فأتم بناء الأسوار، وبنى فيها مسجد عظيم كبير المساحة وفناء[3].

وهي مدينة كبيرة، طولها أكبر من عرضها، تتسم باتساع شوارعها وحسن التقسيم، وكان البناء فيها واسعاً ومحصناً، وقد أنفق عليها المنصور أموالاً طائلةً، و لما أصبحت هذه المدينة كاملة، أحب المنصور أن ينقل عاصمة الخلافة إليها، إلاّ أن الموت سبقه قبل أن يفعل ذلك[4].

---

[1] حسن علي حسن: **المرجع السابق**. ص272.

[2] ياقوت الحموي: **معجم البلدان**. ج3. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.1974 ص109.

[3] المراكشي: **المصدر السابق**.ص 225. 226.

[4] ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس.ج4. دار الثقافة، بيروت، لبنان. ط1. 1973.ص

✓ مدينة جبل الفتح.

في سنة 555هـ، أرسل المؤمن كتاباً إلى ولده السيد ***أبي العلاء والي غرناطة***، يأمره فيه ببناء مدينة كبيرة في جبل طارق، تكون منزلاً للأمير عند إجازته لعساكره في الأندلس، وأوكل الإشراف على بناء هذه المدينة إلى كبار المهندسين مثل ***الحاج يعيش المالقي*** و***أبي إسحاق يزار بن محمد***، أما أعمال البناء فاشرف عليها ***أحمد بن باسة الإشبيلي***[1]، وأحكم البناءون فيه بناء القصور المشيدة والأديار مبنية من الحجر المنحوت والجيار بما هو عجيب من الآثار، واتصل بهذه المدينة السور والباب المسمى بباب الفتوح، وفيها جامع وقصر للخليفة ودور لأبنائه وحاشيته وغرست الحدائق على طول البحر، وجلب إليها الماء العذب، وجدد الحصن والأسوار القديمة، وسمي بأمر الخليفة جبل الفتح[2]، وبقي جبل الفتح مدة طويلة قاعدة الوصل بين الأندلس والمغرب[3].

✓ مدينة تازا.

وهي أول مدينة أنشأها عبد المؤمن، كانت في البداية رباطاً، ثم شيد فيها مسجد، وذلك في سنة 529هـ وبعدها أمد عبد المؤمن مدينة تازا بجيش كامل العدد والعدة، الذي أصبح بمثابة حامية لحدود المغرب الأقصى واشتملت المدينة مكانة حربية دفاعية، وبقيت هذه المدينة محتفظة بأهميتها العسكرية، لوقوعها على الطريق المار بين المغرب والمشرق، وأخذت بأسباب النماء حتى أصبحت مدينة كبيرة، غنية بدورها وقصورها ومساجدها[4].

ب/ المنازل.

عرفت منطقة الغرب الإسلامي توسعاً كبيراً في بناء المنازل داخل المدينة وخارجها، وهذا يعود إلى الاستقرار الذي عرفته البلاد، والازدهار الاقتصادي الكبير الذي سجل في عهد الموحدين.

تميزت المنازل بطابع التشابه في البناء، حيث أن الطابع الإسلامي الذي كان سائداً في تلك الفترة، طغى على معظمها، وغالباً ما كانت المنازل الإسلامية تتكون من جزأين أساسيين هما: الجزء الداخلي والجزء الخارجي ،فالجزء الخارجي كان بسيطاً و عادياً، لم تتخلله وسائل الزينة من زخرفة أو رسومات، أما الجزء الداخلي فقد كان ثرياً بأنواع الزخرفة والزينة، فالأندلسيون مثلاً كانوا يبنون منازلهم، ويجتهدون في تزويدها بكل ما يلزم من مظاهر الزينة والزخرفة

---

[1] عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية**. ص275.

[2] ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**. ص140. 141.

[3] عبد الله عنان: **نفسه**.ص276.

[4] علي عبد الله علام: **الدولة الموحدية في عهد المؤمن بن علي**، دار المعارف، مصر.1981.

ليتمتعوا بالحياة داخلها، وفي تلك الفترة عرف عن النساء لزومهن لمنازلهن، ولم يكن خروجهن إلا للضرورة في المناسبات، ولهذا أعطي لداخل المنازل الأهمية التي يستحقها فنياً وجمالياً، ليقلل من رتابة الحياة فيها[1].

وتميزت الدور من حيث التخطيط، من مدخل خارجي يؤدي إلى رواق منكسر، يمتد بين الباب الداخلي والخارجي، والباب الداخلي ينفتح على فناء المسكن، وكانت هذه المداخل المنكسرة معروفة في العمارة العسكرية وكان الهدف منه إعاقة المقتحم للمدخل، ثم اقتبسوه في المساكن العامة لملائمته[2]، وكان الهدف من هذا الممر المنكسر وظيفتان، الأولى صحية وهي الاحتفاظ بدرجة حرارة معتدلة، تكون وسط بين الجو الداخلي والخارجي، والثانية صون حرمة المنزل، حيث لا يمكن للمار بقرب الباب رؤية ما بداخل الدار، وينتهي هذا الممر بأرض الحوش أو الفناء، وهو فضاء مفتوح على السماء تتوسطه نافورة، وبه أنواع مختلفة من النباتات وبعض الأشجار، وقد لا تحتوي بعض المنازل على نافورة، ولكن معظمها تحتوي على بئر.

أما من حيث التركيب العمودي للمساكن، فقد تكّونت المنازل من طبقتين أو أكثر، وكان الدرج الصاعد إلى الطوابق مصنوعاً من الطوب، ويكون أحياناً عبارة عن سلالم خشبية ضيقة، ذات درجات غاية في الارتفاع، وكان سقف الطابق العلوي منخفضاً، وفي هذا الطابق توجد الغرف المخصصة للنساء، يدخل الهواء إليها عبر منافذ تطل على الصحن، وذلك لتجنب إطّلاع الجيران والمارة على ما بداخل المنازل، كما أنه يتخذ شكل مربع يحيطه رواق[3].

وبنى الموحدون منازلهم من مادة الآجر أو الحجر والطين والكلس، وكانت تسقف بالقرميد[4]، أما الأرضية فكانت تزين بالزليج المتعدد الألوان مثل الأزرق، الأبيض والأصفر، وبعض الدور في فاس، كانت تفرش بنوع من الزليج يسمى المزهري، وكانت أيضاً سقوف بعض الدور مطلية بالقصدير والأصباغ الملونة، وأراضيها مفروشة بالزليج المتعدد الألوان، كما عرف عن أهل فاس ولعهم ببناء القباب، إذ لا تخلوا دور الأثرياء من القبة أو أكثر، والمنازل الفخمة ذات الطوابق، فكان امتلاكها حكراً على الأغنياء، و كانت أيضاً بعض الخيام تنصب للعرب الوافدين إلى المنطقة من أجل مقاومة قساوة الطبيعة[5].

---

[1] السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ وحضارة الأندلس**. ص174.

[2] عبد العزيز محمود لعرج: **العمران الإسلامي وعمارته السكنية قيم دينية ودلالات اجتماعية**، حولية المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين. العدد43. سنة 2005. ص209.

[3] عبد العزيز: **نفسه**. ص174.

[4] عبد العزيز سالم: **نفسه**. ص176.

[5] محمود خياري: **تمرد جند العرب بمنطقة اشبيليا**، مجلة الدراسات الإنسانية، تصدر عن كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر. سنة 2001. ص235.

ت/ القصور.

بمجرد سماع كلمة قصور، يتبادر إلى ذهننا الحكام والأمراء والسلاطين وذوي المال، فهي من سماتهم، وهي ظاهرة ممتدة في الزمان والمكان، عرفت في العصر الإسلامي بكثرة.

وفي عهد الموحدين، كان عبد المؤمن أول من بدأ في بناء القصور، حيث كان مرتباً لأمور المختصة بالمملكة وقام ببناء الدور والقصور[1]، وبعده جاء ابنه ***يوسف يعقوب***، الذي عرفت أيامه أزهى فترات الدولة الموحدية، حيث تطورت وازدهرت في جل الميادين بما فيها العمران، فقد بنى ضاحية امتداداً لمدينة مراكش، وأنشأ فيها الكثير من القصور، وكان مهتماً بالبناء طول حياته، وقام بترميم ***قصور بني عباد***[2].

وقد عرفت مراكش بقصور كانت أشبه بمدن مستقلة، لما تحتويه من مرافق وعظيم بساتينها، وكان قصر الخلافة يتكون من عدة أجنحة، يطلق على كل جناح اسم خاص، وضمنها خصصت أجنحة للوزراء، بالإضافة إلى القاعات وأجنحة خصصت للحفّاظ من الطلبةّ، وكان كل قصر مزود بكل ما يحتاج إليه ساكنيه وأكثر، حيث احتوت على مرافق كالبساتين والحمامات والإسطبلات والمياه.

وأحاط المنصور القصور بأسوار عالية، وكان بقصر مراكش مقر الخلافة، بالإضافة إلى عدة دور منها دور البلور والريحان، وكل دار كانت محاطة بالبساتين العجيبة، ولها ثلاث أبواب مختصة بها باب البستان، وكان لا يراه إلا الخواص، والباب الثاني هو باب الوادي داخل مدينة مراكش، ينصرف منه إلى ما يحتاج إليه بالمدينة، والباب الثالث أمامه رحبة عظيمة تحمل طراد الخيل، وبها قمة الخلافة، وفي رحبة القصور دار الكرامة والضيوف، وفي هذه الرحبة مدرسة، وبها أيضاً خزائن الكتب، وفيها دار مخصصة للوزارة، وهناك مقابر أكابرهم وجنائز الأعيان[3].

وحظيت مدينة فاس هي الأخرى باهتمام الموحدين، حيث شيدوا بها الكثير من القصور، من بينها قصر ابن عشرة، الذي كان ينزل به عبد المؤمن[4].

---

[1] المراكشي: **المصدر السابق.** ص208.

[2] **نفسه.** ص292.

[3] المنوني: **حضارة الموحدين.** ص176.

[4] الإدريسي: **نزهة المشتاق.** ص86.

أما الأندلس فكان لها الحظ الأوفر في الجانب العمراني، حيث بنى بها الموحدون الكثير من القصور، بالإضافة إلى القصور التي كانت بها قبل دخول الموحدين، ومن قصور الموحدين ***قصر أبي يحي بقرطبة***، الذي بناه ***يحي بن يوسف بن يعقوب بن عبد المؤمن*** على متن نهر الوادي، كان من إنشاء المهندس ***الحاج يعيش المالقي***، حيث بالغ في اتقانه، كما لم يبخل ***السيد أبو يحي*** في النفقة على بنيانه، ونجد أيضاً قصر المأمون بمالقة، كان يعرف بقصر السعيد[1].

أما في اشبيليا فإن أغلب ما أقاموه، كان على أنقاض ما وجدوه من قصور، حيث قام الموحدون بهدم جزء من تلك القصور، وأقاموا مكانها قاعات جديدة، تتفق زخارفها مع الأسلوب الشائع في فنون الموحدين، والذي يجمع بين البساطة التي امتازت بها منشآتهم بالمغرب وعلو الحشو الزخرفي[2]، وكان بناء قصور الجيرة باشبيليا سنة 587هـ بأمر من ***الخليفة أبو يعقوب يوسف***، وقد تولى بناء القصور ودور الأمراء ***العريف أحمد بن باسة***.

كما عهد ***أبو يعقوب*** إلى كل من القاضي ***أبي القاسم أحمد بن محمد الحوفي الإشبيلي*** و***الموثق*** باحتطاط ما يلزم لإقامة بساتين ملحقة بالقصور، وغرس أشجار الزيتون والأعناب والكمثري والإجاص المسمى بالعبقر والأرز والتفاح، فاختلط ما أمر به، وكان الملتزم للحفر في الغريس ***الشيخ أبو داود بلول بن جلد*** تحت إشراف ***السيد أبي العلاء إدريس*** الوزير الأول وابنه[3]، وبعدها انتبه الخليفة الموحدي إلى مشكلة توصيل المياه إلى هذه القصور، فعهد إلى ***الحاج يعيش المالقي*** بتوصيل المياه إليها، وقد كانت القصور التي بناها الموحدون باشبيليا أجمل العمائر وأفخمها.

ث/ المدارس.

إن ما حصل في بلاد المغرب و الأندلس عند قيام دولة الموحدين من دفع جديد خاصة في المجال الفكري، دفع خلفاء الموحدين باهتمام أكثر بالعلم ورجاله، حيث بعثوا في طلبهم من شتى الأعمار، وكانت حاشية الخلفاء من العلماء، وحتى هم أنفسهم كانوا على قدر كبير من التعلم، وسن أول خليفة لهم ***عبد المؤمن بن علي*** سنة التعليم الإجباري المفروض على كل مكلف من الرجال والنساء[4]، وأنشئوا باقي الخلفاء المؤسسات التعليمية وأجزلوا العطاء

[1] ابراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**. ج1. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب. ط2. 1974. ص349.

[2] عبد العزيز سالم: **المساجد والقصور**. ص70 . ص123.

[3] ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**. ص476.

[4] عبد الله علام: **الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي**. دار المعارف، مصر. 1971. ص244.

للعلماء، إذ يقول ***ابن أبي زرع*** أن المنصور حصن البلاد وضبط الثغور وبنى المساجد والمدارس في بلاد المغرب وأفريقية والأندلس، وبنى المارستان وأجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم و طبقاتهم[1].

وأول مدرسة أنشأت أيام الموحدين تلك التي أنشأها عبد المؤمن بن علي بمراكش لصغار الطلبة، وضمت نحو ثلاث آلاف طالب من سن واحدة[2]، وكانت هذه المدرسة مخصصة لرجال السياسة وقادة الجيش من الحواضر الموحدية والأسطول، عمل عبد المؤمن إلى جلب الطلبة إليها من الحواضر الموحدية ***كاشبيليا*** و***قرطبة*** و***تلمسان*** و***فاس***، وأثناء تواجدهم بالمدرسة اعتكفوا على حفظ القرآن والحديث الشريف وتآليف المهدي بن تومرت.

وكان هؤلاء الطلبة يجتمعون عند عبد المؤمن كل يوم جمعة بعد صلاة الجمعة في قصره، وكان هو من يشرف عليهم ويعمل على تشجيعهم، وفي الأيام يتدربون على فنون الحرب، وذلك في بحيرة أنشأها عبد المؤمن خصيصاً لهذا الغرض، وهي على مقربة من قصره في المتنزه، ومن الكتب التي كان عبد المؤمن يشجع على قراءتها تلك التي تتحدث على المغامرات والفروسية[3].

وقد وجدت أنواع مختلفة من المدارس، فمنها من كان مخصصاً للتدريس أبناء الطبقات الخاصة، وللتدريس بها أختير أفضل الأساتذة، منهم ***أبو العباس أحمد بن عبد الجليل التدسيري*** 555هـ، وبعد عبد المؤمن قام المنصور بانشاء العديد من المدارس، منها مدرسة سلا ومدرسة أخرى خاصة بأبنائه وباقي أفراد أسرته، وهذه المدرسة كانت ملحقة بالقصر، كانت قاعدة مربعة غاية في الحسنى، يحيط بها الثمر مع نوافذ رائعة ذات زجاج ملون، وحول القاعة خزانات كثيرة، وأنشأ أيضاً مدرسة في مراكش استقبلت أذكى الطلبة، وكانت تعد هذه من أضخم المدارس، مزخرفة بالفسيفساء البديعة، وأين لا يوجد فسيفساء تم تغطية الجدران الداخلية بالزليج المصنوع من الطين المشوي اللماع المقطع على شكل أوراق رقيقة، أو بموارد أخرى بدل الفسيفساء، وبالأخص في قاعة الدروس والممرات، وكان فناء المدرسة كله مكشوف ومفروش بالزليج اللماع، وفي وسطها فسيقة منحوتة من الزمرد الأبيض في غاية الجمال[4]، أما الناصر فقد بنى 20 مدرسة[5].

---

[1] ابن أبي زرع. ص43.

[2] مجهول: **الحلل الموشية**. ص151.

[3] أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الإسكندرية، مصر. ص345.

[4] حسن الوزان: **وصف إفريقيا**. ج2. ترجمة محمد دجحي، محمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. 1974. ص133.

[5] محمد المنوني: **حضارة الموحدين**. ص164.

وأول مدرسة خصوصية أنشأت ببلاد المغرب، كانت في أيام الموحدين، وكان ذلك على يد ***العالم السبتي علي بن محمد الساري***، أنشأت على النموذج الشرقي في مدينة سلا، و أوقف عليها صاحبها كل ما يحتاج إليه الطلبة[1] من كتب.

وقد تكونت المدرسة أحياناً من طابقين، في وسطها صحن مكشوف فيه حوض ماء، وغالباً ما كانت المدارس متصلة بالمساجد المجاورة لها، أو مستقلة عنها، وبالمدرسة توجد قاعة كبيرة مخصصة للدرس، تتضمن كل ما يحتاج إليه الطلبة[2].

إن أغلب المدارس التي أنشأها الموحدون قد اندثرت، ومن المحتمل أن يكون المرينيون قد أقدموا على تهديمها وأقاموا مدارس تجمع طابعهم الخاص وأسمائهم[3].

ج/ المستشفيات.

كانت المستشفيات تعرف بالبيمارستانات و كلمة بيمارستان فارسية الأصل مكونة من شقين هما: بيمار وتعني عليلا وستان تعني دار أو مقر للمرضى.

لم يرد ذكر المستشفيات أنشأت في عهد المرابطين في بلاد المغرب والأندلس، وكان أول مشفى هو ذلك الذي أنشأه المنصور الموحدي في مراكش، كان بديع البناء، إذ يصفه المراكشي قائلا:" وبنى المنصور بمدينة مراكش بيمارستان ما أظن مثله في الدنيا وذلك بأنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد، وأمر البنائين باتقانه على أحسن الوجوه، فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح، وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع المشمومات والمأكولات و أخرى مياهها كثيرة تدور على جميع البيوت، زيادة على أربع برك في وسطه إحداهما رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصدف والكتان والحرير والأديم وغيره ما يزيد على الوصف، ويأتي فوق النعت، وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل من الأدوية، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأنترية والأذهان والأدحال"[4].

---

[1] ابراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**. ص346.

[2] حسن علي حسن: **المرجع السابق**. ص401.

[3] أحمد عبد الرزاق: **الحضارة الإسلامية في العصور الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة. ط01. 1991. ص348

[4] المراكشي: **المصدر السابق**. ص80.

ويعد هذا المشفى أشهر مشفى عرف في عهد الموحدين، إذ لا يذكر مستشفى آخر للموحدين، ويعد المنصور من اهتم وركز على الأماكن الاستشفائية، وجهزها بكل أنواع العلاج وحشد لها مجموعة من الأطباء للسهر على راحة المرضى.

ح/ الحمامات.

تعد الحمامات من المرافق الحيوية في المدن الإسلامية لإرتباطها بالنظافة والتطهر، اللذان يدعوا إليهما الدين الإسلامي، ولهذا انتشرت الحمامات في كل أنحاء دولة الموحدين في المغرب كما في الأندلس.

كانت الحمامات غالباً ما توجد بالقرب من المسجد، حيث يتيسر للمسلمين الإستحمام والتطهر قبل ولوجهم للصلاة، بالإضافة إلى هذا الغرض كانت الحمامات مكان اللقاءات بين أفراد المجتمع ومرحهم، وفيها كانت تقام مجالس الأنس واللهو والغناء، فقد كان الذهاب إليها فرصة لتغير الجو والتمتع بقسط من الراحة والحرية[1].

تكون الحمام الإسلامي من مدخل يؤدي إلى ثلاث أو أربع قاعات لغرض الإستحمام، وكلها مغطاة بقبقاب وتتدرج كل قاعة دفئاً وحرارةً ، ففي البيت البارد يخلع المستحم ثيابه ثم يدخل إلى البيت الوسطاني الدافئ، ومنه يولج إلى الحجرة الحلّر وبالحمام خادم يعرف بالحكاك أو المساد يقوم على خدمة رواد الحمام، وخصصت بعض الحمامات للرجال وأخرى للنساء وحددت أوقات مختلفة لهما، ولإعتبار الحمامات من المرافق العامة، فقد كانت ملكاً للدولة أو تابعة للمسجد[2].

وكانت قاعات الحمامات موصولة فيما بينها عن طريق فتحات وأبواب، وكانت كلها تتخذ شكلاً مستطيلاً أو مربعاً، يؤدي المدخل إلى ردهة صغيرة، في شكل موقف يليه حجرة ضيقة ومستطيلة، تعلوها قبوة نصف أسطوانية بنهايتها قبوان يعرفان بالخلوتين، ويفصلها عن بقية القاعات عقدان يستندان فيها على عمود مركزي، تعرف هذه القاعة باسم البيت البارد.

ووجد في الحمامات غرفة عرفت بيت المستراح، يستريح فيها المستحمون قبل خروجهم من الحمام، ويلي القاعة الباردة قاعة تعرف بالبيت الوسطاني، وهي قاعة أكثر اتساعاً من القاعة السابقة، وتعد أهم أجزاء الحمام

---

[1] عبد العزيز سالم: **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**. ص210.

[2] محمد عبد الله الحماد: **التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية**، من الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، قسم 03. الحضارة والعمارة والفنون مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض. 1997. ط01. ص160.

يتوسط هذه القاعة فراغ مركزي مربع يعلوه قبة، ويحيط به أربع ممرات، تحملها عقود قائمة على أعمدة، وجميع هذه القنوات الجانبية والقبة الوسطى تتخللها فتحات نجمية الشكل، تغلق بقطع زجاجية تسمى مضاوي لإدخال الضوء وتتبع هذه القاعة قاعة أخرى تعرف بالبيت الساخن، وهي عبارة عن غرفة مستطيلة ضيقة تشبه الغرفة الأولى، ولها نفس نظامها، وفي منتهى الغرفة موقد كبير يسمى القدر أو البرمة أو الفرشي، ومن هذا القدر تخرج أنابيب الماء الساخن والبارد، وتدخل في الأحواض لتصب فيها، وترتفع درجة الحرارة في الحمام بالتدرج من البيت البارد إلى الساخن، وعند انتهاء المستحم من حمامه يتعرض لهواء أقل حرارة من الهواء الداخلي الساخن،كانت أرضية الحمام ك تكسى بالفسيفساء[1].

خ/ الفنادق.

عرفت الفنادق في المشرق الإسلامي باسم الخانات، ولقد كان الفندق معروفاً في بلاد المغرب الإسلامي، يطلق عليه اسم المنامات التي تؤوي المسافرين ودوابهم وكل مستلزماتهم[2].

كانت الفنادق عادة ما تتكون من طبقة أرضية مخصصة لإيواء الحيوانات والبضائع وما شابه ذلك، أما الطبقة العلوية فاستخدمت لإستقبال المسافرين، وارتبط بناء الفنادق وتوفرها على وسائل الراحة والأمان من أهم العوامل التي تجلب التجار من مختلف الأقطار بغرض العمل بالمنطقة، ففي الأندلس تأثر المسلمون بنظام الفندق الذي كان شائعا عند اليونان والرومان، فاهتم الموحدون بإنشاء الفنادق، فقام ***المنصور*** بتشييد العديد من الأسواق والفنادق التي قصدها التجار من كل ناحية[3]، وأنشأ قبله ***يوسف بن عبد المؤمن*** الكثير منها بمدينة ***رباط الفتح***[4]، وفي عهد الناصر بلغ عدد الفنادق التي أنشأت للتجار حوالي أربعمائة وسبع وتسعين فندق.

ووجدت في الأندلس أيضاً الكثير من الفنادق، ففي مدينة ألمرية وحدها ما يقارب مائة وتسعين فندقا[5]، ولم تكن الفنادق إقامة مؤقتة فقط بل وجد الكثير من اتخذ الفنادق مكانا لإستقرارهم وللإقامة الدائمة، منهم المتصوف المعروف ***ابن العباس*** الذي كان يسكن بأحد الفنادق بمدينة مراكش[6].

---

[1] السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ وحضارة الأندلس.** ص112 . 114.

[2] حسن علي حسن: **المرجع السابق.** ص403.

[3] أبو العباس المراكشي: **المصدر السابق.** ج1. ص207.

[4] **نفسه.** ج1. ص179.

[5] حسن علي حسن: **المرجع السابق.** ص404.

[6] السيد عبد العزيز سالم. **المرجع السابق.** ص217.

د/ القناطر.

تعد القناطر أهم وسيلة اتصال بين ضفة وأخرى، وبين مرتفعين تفصل بينهما فجوة عميقة، ومن القناطر ما هو ثابت وما هو متحرك، وقد أنشأ الكثير منها في دولة الموحدين بعد اهتمام ولاة الأمر بانشاء الجسور، وذلك لربط المناطق ببعضها وتسهيل أمور الرعية من تنقلات وقضاء حاجاتهم، وكذلك لاستغلال مياه الأمطار في ري الأراضي الزراعية[1]، أما في الأندلس فإن طبيعتها وكثرة الأنهار بها توجب عليهم بناء القناطر بها[2].

ومن القناطر التي أنشأت بالمغرب قنطرة تانسيف التي تصل المغرب بمراكش، وأقام عبد المؤمن أيضاً قنطرة بين المهدية وسلا إلا أنها تهدمت في فترة وجيزة[3] وكان المنصور من أكثر خلفاء الموحدين المهتمين ببناء القناطر، فبنى الصوامع والقناطر لجلب الماء من البرية واتخذ عليها المنازل[4].

وفي الأندلس أقام ***أبو يعقوب يوسف*** قنطرة اشبيلي سنة 566هـ، لإنجاز مصالح الناس ولعبور الجنود عليها تهدمت هذه القنطرة سنة 642هـ[5].

المبحث 03: المنشآت الدينية.

أ/ المساجد.

تعد المساجد من أبرز المنشآت الدينية في كل أقطار العالم الإسلامي، فقد كانت ولا تزال مكاناً مقدساً تقام فيها العبادات، وتعطى فيها الدروس والمواعظ للأطفال والجاهلين من الكبار.

ولقيام دولة الموحدين على أسس دينية أثر قوي وإيجابي على إنشاء المساجد، والعمل على جعلها من أجمل المنشآت التي أقاموها، وذلك على الرغم من أنهم قاموا بتهديم أغلب المساجد المرابطية لأن الفقهاء أفتوا بعدم جواز الصلاة فيها، لإنحرافها على القبلة[6] ويقول البيذق:"وبقيت مراكش وذلك بعد أن فتحها الموحدون لم يدخلها داخل

---

[1] ابن أبي زرع: **المصدر السابق.** ص215.

[2] السيد عبد العزيز سالم: **في تاريخ وحضارة الأندلس.**ص224.

[3] ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق.** ص449. 450.

[4] ابن أبي زرع: **المصدر السابق.** ص157.

[5] السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ وحضارة الأندلس.** ص224.

[6] حسن علي حسن: **المرجع السابق.**ص 498.

ولم يخرج منها خارج ثلاث أيام وكانوا يتشاورون على سكانها فامتنع الموحدون أن يسكنوها، فقام إليهم الفقهاء فقالوا لهم لأي شيء لا تسكنوها، فقال امتنع المهدي من ذلك ولاسيما تشريق مساجدها عن القبلة المستقيمة التي لا عوج فيها، ولا تعريف لأمة محمد صلى الله عليه وسلم والتشريف لغيرها من اليهود وغيرهم، فقال الفقهاء تطهر، فقالوا :"كيف تطهر؟" فقال الفقهاء:"تهدم جوامعها وتبنى جوامع أخرى"، فهدمت جوامعها لأجل تشريقها وتعريفها عن القبلة وإحالتها إلى المشرق، وهدم فيها جامع علي بن تاشفين لم يهدموه كله بل هدموا بضعه[1].

* أمثلة عن الجوامع الّتي أنشأها الموحدون بالمغرب و الأندلس.

1/ جامع تينمل.

مثلّت مدينة تينمل القاعدة الأولى لانطلاق دولة الموحدين ورسوخها، إذ منها بدأ الموحدون رحلتهم لسيادة المغرب والأندلس، و فيها دفن زعيم والّهج بن تومرت، وكان أّول من بنى جامع تينمل، وأعاد عبد المؤمن ترميمه فيما بعد 547هـ.

شكل الجامع مربع، يبلغ طول ضلعه47م وعرضه ستة متر، وله ثلاث أبواب شمالاً وشرقاً وغرباً وثلاثة أخرى جنوباً ويعد محرابه أهم ما بقى منه، ومن مميزات جماله ***مقرنصاته***[*2]، وأمام محرابه يوجد ثلاث قباب، أوسطها تقع بلاجة المحراب العمودية، ويحيط بها قبة من كل جانب، ويعد محرابه ***أجمل المحاريب المغربية الموحدية***، أما مئذنته فتختلف عن المآذن الموحدية إلا أنها تشبه تقريبا مئذنة جامع الكتيبة[3].

2/ جامع الكتيبة.

بني على يد عبد المؤمن بن علي سنة 554هـ في مراكش، وقد أقيم هذا المسجد على أنقاض مسجد المرابطين وعند بنائه جعل فيه سياطاً يربط بين القصر والجامع[4]، وأمر الخليفة بصنع منبر الجامع ومقصورته في الأندلس وذلك لما عرف عن الأندلسيين من مهارة في هذا المجال واتقانهم الكثير من أعمالهم بالروح الجمالية الراقية، وكان يتولى

---

[1] البيذق: **المصدر السابق**. ص105.

* **مقرنصات:** من عناصر العمارة الإسلامية المميزة لها، يشبه المقرنص الواحد إذا أخذ مفصولاً محراباً صغيراً أو جزء طويلاً منه، وتتعدد أشكاله ولا يستعمل إلا متكاثر متراجع بصوف مدروسة التوزيع والتركيب.

[2] عبد الرحيم طالب: **موسوعة العمارة الإسلامية**، دار صادر، بيروت، لبنان. ط1977. ص497.

[3] السيد عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير**.

[4] ابراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**. ص344.

صنع المقصورة المهندس ***الحاج يعيش المالقي***[1]، وكان المنبر والمقصورة من أجمل ما صنع، فالمنبر صنع من العود والصندل الأحمر والأصفر، وصفاته من الذهب والفضة، أما المقصورة فقد كانت من الخشب، ولها ستة أضلاع تستوعب أكثر من ألف شخص[2]، وبدأت الأعمال في هذه المقصورة في عهد ***عبد المؤمن بن علي***، إلا أن القسم العلوي منها لم يتم بناؤه حتى جاء ***الخليفة المنصور***[3].

والجامع عبارة عن جامعين أسسهما عبد المؤمن في سنوات متقاربة، بينهما امتداد مباشر إلى الجنوب من الأول، ويتصل بالثاني الذي يبدو أنه متطابق تماماً، بحيث أصبح عبارة عن منشأة واحدة، والجامع له شكل شبه منحرف، فيه سبعة قباب، وقد زينت هذه القباب بالكثير من ***القرنصات***، التي تعد من أهم ما يميز الفن الموحدي في تلك الفترة، وللمسجد أربعة أبواب من الجهتين الشرقية والغربية، وهي عبارة عن هيكل بارز إلى الخارج مبني بالآجر والطين، لعبت العناصر النباتية دور كبير في تكوين الزينة الجدارية، حيث استعملت ***الأوراق النباتية كسعف النخيل*** و***ثمرة لوز الصنوبر والتفاح*** التي استخدمت في ***تزيين الصومعة***.

ويعد جامع الكتيبة من أجمل وأروع ما بنى الموحدون من مساجد، ففيه مقصورة متحركة لم تعرفها المساجد من قبل، وهي عبارة عن مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر من ألف رجل، و كلف بصنعها "***يعيش المالقي***"، وكيفية هذه المقصورة أنها وضعت على حركة بعد رفع البسط عن موضع المقصورة، فتطلع الأضلاع في زمن واحد لا يفوت بعضها ببعض بدقيقة، وكان باب المنبر مسدوداً، فإذا قام الخطيب ليطلع عليه فتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة، لا يسمع حس ولا يرى تدبيرها[4].

وقد بنى الموحدون هذا المسجد على أكمل وجه، حيث عمل فيه أغرب الصنائع، واسع المساحة وأبعد البناء والنجارة، وفيه شمسيات الزجاج ودرجات المنبر والمقصورة وبُني في وقت قصير بروعة وجمال فائق لم يتخيله أحد من

---

[1] مجهول: **الحلل الموشية** ص107.

[2] السيد عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير**. ص845.

[3] عبد الله علام: **المرجع السابق**. ص37.

[4] يوسف أشباخ : **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**. ج2. ترجمة عبد الله غان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة. ط2. 1957 ص223.

الصناع أنّه يتسم في تلك الفترة، وصليت فيه صلاة الجمعة في منتصف شعبان من سنة 553هـ[1] وقد أطلق عليه اسم ***جامع الكتيبين*** نسبة إلى باعة الكتب الّذين كانوا يبيعون سلعتهم من الكتب بجانب المسجد[2].

3/ جامع حسان بالرباط.

أنجزه ***أبي يوسف يعقوب المنصور***[3]، ولهذا المسجد تخطيط مختلف عن باقي المساجد الإسلامية، فبيت الصلاة يتألف من قسمين: قسم خلفي به واحد وعشرون بلاطة عمودية على جدار القبة، والثّاني يشتمل على ثلاث أساليب ممتدة بعرض المسجد.

وكان هذا المسجد من أجمل المساجد التي أنشأها الموحدون بالمغرب الأقصى، وله ثلاث حصون، اثنان في بيت الصلاة، والثّالث مثل الصحون التي تقام في الجوامع الأخرى، وهو مستطيل مقاساته 170×149,40.

ويعد هذا الجامع من أكبر وأوسع مساجد بلاد المغرب، وأهم ما يميزه مئذنته المزينة بالزخارف الهندسية من نوع شبكة المعينات ذات الصلة بزخارف مئذنته جامع قرطبة، وتتوسط الضلع الشمالي للجامع ، أما بالجهة الشمالية فقد فتحت به أربعة أبواب شبيهة بمداخل جامع الكتيبة[4].

4/ جامع القصبة الكبير باشبيليا.

يعد هذا المسجد من أهم ما خلد الموحدون من آثار، أمر بإنشائه **أبو يعقوب يوسف** 568هـ، وذلك أثناء إقامته بها[5]، وقد جمع هذا المسجد بين بساطة الفن الموحدي والغلو الزخرفي الذي تميز به الفن الأندلسي.

وكان سبب بناء هذا المسجد، ضيق جامع اشبيليا المعروف باسم ***جامع بن عبد*** بمصليه، حتى راحوا يصلون في الأفنية والحوانيت بجانب المسجد، فجمع الخليفة أبرع البنائين من المغرب والأندلس معاً، وقد بدأ بناء المسجد[6] سنة 568هـ تحت اشراف المهندس ***أحمد بن باسة***، واهتم البناءون ببناء القبة على محرابه وبنجارتها أعظم عناية

---

[1] المقري: **نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، دار صادر بيروت. ج02. ص140.

[2] ابراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**. ج01. ص344.

[3] المقري: **المصدر السابق**. ج02. ص140.

[4] ابن صاحب الصلاة : **المصدر السابق**. ص474.

[5] محمد عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية الباقية**. ص48.

[6] محمد عبد العزيز مرزوق: **الفنون الزخرفية الاسلامية في الأندلس**، دار الثقافة، بيروت، لبنان.ص26.

وأقاموا على يسار المحراب ساباطا في الحائط بشقة الخليفة، من القصر إلى الجامع، لحضور صلوات الجمعة[1]، وكان منبره مصنوعاً من أكرم الخشب، مفصلاً منقوشاً مرشقاً محكماً مرصعاً بالصندل، يتلألأ بصفائح الذهب والفضة، ثم عُملت له مقصورة من الخشب مزينة بالفضة، وكان الخليفة يتفقده دائماً، ويشير للمشرفين عليه بالجد في البناء وإتقانه، حيث استغرق بناؤه ثلاث سنوات وإحدى عشر شهراً، وافتتح الجامع رسمياً على يد ***الوالي أبو اسحاق ابراهيم بن الخليفة أبو يعقوب يوسف*** 577هـ، وعندما عاد ***أبو يعقوب يوسف*** إلى الأندلس سنة 570هـ، أمر ببناء صومعة الجامع وجعلها ملتصقة بالسور، إلا أن الخليفة أبو يعقوب توفي بعدها.

وبعدها تولى الأمر ***أبو يوسف يعقوب***، وأمر بالكف عن بناء السور لكنه أبقى على بناء الصومعة، وقد تعطل فيه العمل قليلاً، إلى أن وصل ***أبو زهرة*** من مراكش، فأمر باستكمال بناء الصومعة، وتداول على بناءها العديد من العرفاء، وقد زينت بأربع تفاحات ذهبية رفعت على أعمدة، وكانت تلك التفافيح من أجمل ما صنع[2].

المبحث 04: المنشآت العسكرية.

أ/ الحصون و القلاع.

أنشأ الموحدون الكثير من الحصون والقلاع، خاصة الخلفاء والمتأثرين منهم، لأنهم كانوا في فترة تراجع وانحطاط، واشتدت عليهم الأخطار في الداخل والخارج معاً، ولم يبق موقفهم كما كان في السابق، فأصبحوا في موقف المدافع بعد أن كانوا في موقف المهاجم، وهذا ما استدعى وجود مثل هذه المنشآت، التي تساعد في عرقلة تقدم العدو في أراضيهم.

وقد استفاد الموحدون بما وجدوه من حصون كثيرة، خلفها المرابطون في المغرب والأندلس[3]، حيث قاموا بترميمها وأضافوا إليها حصوناً وقلاعاً جديدة، أما في الأندلس فإن مثل هذه المباني الدفاعية وجدت فيها منذ السنوات الأولى من الفتح الإسلامي لها، وذلك بحكم موقعها الجغرافي، والذي يجعل منها مجاورة لأراضي الأعداء من النصارى، وكانت الظروف التي تحكمت في قيام الدولة الموحدية من صراع مع المرابطين من العوامل التي ساعدت على بناء سلسلة من القلاع والحصون خوفاً من هجمات مباغتة للمرابطين، ومن هذه الحصون ***حصن تينمل*** فهذه المدينة

---

[1] ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق.** ص484.

[2] السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس.** ص183. 184.

[3] يوسف أشباح: **المرجع السابق.** ج2. ص497.

هي أول الحصون التي اتخذها الموحدون، ويعد ذلك لكونها حصناً طبيعياً[1].و قد أنشأ عبد المؤمن حصن آخر بتلمسان بعد فتحها، ثم قام الموحدون بانشاء الكثير من ***الحصون والقلاع والقصبات*** ومنها ***قصبة مراكش***[2].

أما في الأندلس، فإن النظام الدفاعي كان ضرورة مطلوبة جداً منذ الفتح الإسلامي لها، ومن الحصون التي أنشأها الموحدون على الأراضي الأندلسية ***حصن الفرج***، الذي يقع غربي ***طريانة*** من مدينة اشبيليا، ويعود هذا الحصن إلى أيام الخليفة الموحدي المنصور سنة575 هـ، وفيه أمر هذا الأخير ***ببناء القصور والقباب***، وفيه جلس ليتلقى تهنئة الوفود على النصر الذي حققه في ***الأرك*** على النصارى، وبعدها أصبح هذا الحصن مقراً لخلفاء الموحدين ومركزاً دفاعياً لمنطقة الشرق و بالإضافة إلى الحصون التي أنشئوها.

كما قام الموحدون بترميم بعض الحصون الأخرى، منها ***قلعة جابر أو قلعة وادي إبرة***، التي تقع على بعد اثنا عشر كيلومتراً ***غربي اشبيليا***، وقاموا بتزويد أسوارها ***بالخنادق*** والأسوار الأمامية[3].

ب/ الأسوار.

تعد الأسوار وخاصة أسوار المدن من الوسائل الدفاعية الأساسية لأي مدينة أو عاصمة، وعند قيام دولة الموحدين، أقدم ***الخليفة عبد المؤمن بن علي*** على تدمير أغلب الأسوار، وبعدها أعاد النظر في مقولته الشهيرة:" لسنا بحاجة إلى أسوار إنما أسوارنا سيوفنا وعدلنا"، ولكنهم فيما بعد، بنوا الكثير من الأسوار في المغرب والأندلس.

أما الأندلس فكان بناء الأسوار بها منذ فترات بعيدة، فعند دخول المسلمين إليها، وجدوا بعض المدن مسّورة من قبل الرومان، غير أن تلك الأسوار لم تهدم أمام ازدياد كثافة السكان، إنما تطورت طرق البناء وموارده بتطوير الأسلحة وأساليب الدفاع والهجوم.

وتعد أسوار ***سلا*** من بين الأسوار التي هدمها عبد المؤمن، وأعاد بناءها ***حفيده أبو يوسف يعقوب المنصور***[4] ورممت فيما بعد عدة مرات، وكذلك أقام الموحدون أسوار على مدينتي ***مراكش و فاس وتلمسان***، وكانت من أحصن

[1] حسن علي حسن: **المرجع السابق**. ص394.
[2] توفيق مزاري عبد الصمد. ص203.
[3] السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**. ص127.
[4] السيد عبد العزيز سالم، مدينة الرباط. ص87.

ما أنشأ الموحدون في المغرب، وفي ***الأندلس*** كانت كل المدن تقريباً مسّورة، ففي ***عهد عبد الرحمن الأوسط*** سّورت كل من ***اشبيليا وماردة ومدن كثيرة***[1]، وغالباً ما كانت الأسوار تزود بعدد من الأبواب ***قصور مدينة رباط الفتح***،كان به خمس أبواب، وكان السور يتألف من ممشى للجند في أعلاه، يقذف منه الجند سهامهم، وبالسور أيضاً شرفات مسننة أو مستديرة، من خلالها يراقبون ويقذفون السهام، والحراب والشرفات على هيئة تنتهي بشكل مستدير، وبين الشرفة والأخرى فتحات تساعد المحراب على المراقبة والإشراف والنظر إلى الأسفل دون أن تصيبه سهام العدو[2].

ومن الأسوار التي بناها الموحدون بالأندلس، أسوار ***مدينة قرطبة*** وأسوار ***مدينة أشبيليا***، التي أمر المنصور بإنشائها، وعند انهزام المسلمين في حصن العقاب وتكالب النصارى على أراضي المسلمين بالأندلس، قام أبو العلاء إدريس الموحدي بتحصينها لمواجهة الأخطار المرتقبة، فأقام بها سنة 617هـ، وجدد أسوارها وشيد أمامها سور يحيد بها وحفر حولها خندقاً يدور بالأسوار زيادة في الإحتياط.

وتعد هذه التحصينات نوعاً جديداً في فن العمارة الحربية، ابتدعها المسلمون أيام دولة الموحدين منذ تراجع سلطتهم واشتداد خطر النصارى، ومن هذه النظم المعمارية الجديدة نجد الأبراج البرانية، الأسوار الأمامية والأبواب ذات المرافق، وكان شكل أغلب الأبراج مربع، يتألف من نصفين، نصف أدنى ونصف أعلى، هذا الأخير فيه غرفة لحركة الجند.

كما استعمل الموحدون البرج المثمن في بناء أبراجهم البرانية، وهذه الأبراج كانت تقام على المدن الحدودية المجاورة للنصارى مثل ***مدينة بطليوس***، واستخدموا أبراجاً من اثنا عشر ضلعاً، إلا أن البرج المثمن كان منفصلاً عن البرج المربع، وذلك لفعاليته، فهو بكثرة ضلوعه يمكّن المدافعين من التحرك في كل الجهات والزوايا، غير أن البرج المستدير هو الأفضل.

لماتفاقمت الأمور وازداد الخطر المسيحي، ابتدع الموحدون نوعاً جديداً من الأبراج عرف بالأبراج البرانية وقصدوا منها تدعيم الستارة المشكلة للسور، ومثل هذه الأبراج أقيم في ***ماردة*** وأقام يعقوب يوسف بتحصين ***قلعة***

[1] السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**. ص227.

[2] السيد عبد العزيز سالم: **نفسه**. ص229.

جابر، التي تعتبر المركز الدفاعي الأمامي لمدينة اشبيليا[1]، وتخللت الأسوار أبوابٌ تصل داخل المدينة بخارجها، وكان الممر الواصل بين فتحتي الباب الداخلي والخارجي ينكسر بزاوية قائمة في عدة نقاط، حتى يصل إلى الفناء، وتتميز هذه الأبواب بوضع عقبات أمام المهاجمين بتلك الانحناءات[2].

[1] السيد عبد العزيز سالم: **في تاريخ وحضارة الأندلس**، ص 240 . 248.

[2] السيد عبد العزيز سالم: **المساجد والقصور**. ص163.

من خلال تناول موضوع الفن للدولة الموحدية، يمكن الخروج بمجموعة من النتائج من بينها ما يلي:

- قامت الدولة الموحدية على الكثير من الأسس والمبادئ التي التزم بها المهدي بن تومرت ومنها حياة الزهد والتقشف والاكتفاء بما هو ضروري والابتعاد عن البذخ والإسراف.
- في بداية دولة الموحدين سار الخلفاء على نهجه والتزموا بمبادئه.
- أثرت مبادئ ابن تومرت على بعض الفنون كالموسيقى التي ضيق نطاقها.
- بمجرد دخول دولة الموحدين مرحلة جديدة من الازدهار والتطور خاصة بعد الفتوحات، تغيرت نظرة الخلفاء الموحدين للعلوم والفنون، حيث أطلقوا الحرية الفكرية والثقافية والفنية، بالخصوص في مرحلة الخلفاء الأربعة الأوائل التي فتحت المجال للإبداع والتطور الفني.
- كانت طبيعة الزخارف الفنية الموحدية نباتية على عكس الفن اللاتيني الروماني الذي كانت زخارفه تصويرية.
- أثرت الوحدة السياسية للمغرب والأندلس واحتكاك المسلمين بسكان الأندلس التي كانت طبيعتهم تميل إلى الترف والحياة الراقية إلى إنتاج إبداعات وثقافات مشتركة بطابع مزدوج وراقي.
- من خلال الدراسة يتضح لنا أن الأطعمة في بداية دولة الموحدين كانت بسيطة، لكنها لم تبق كذلك لفترة طويلة، فباحتكاك المغاربة بالأندلسيين تنوعت الأطعمة وتعقدت أساليب إعدادها وكثرت مستلزماتها.
- بلغت عظمة الدولة مع الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور الذي تعد جل المعالم العمرانية في عصره حيث عرفت الدولة في عهده ازدهاراً ورخاءً في مختلف الأصعدة والمستويات ككل.
- شيدت الدولة الموحدية آثاراً معمارية غاية في الإتقان والروعة والجمالية من مباني وقصور وطرق وقناطر تزاوجت فيه ضخامة الأحجام والتشييد مع البساطة والكفاف، فكان لهذا التزاوج أحسن الأثر على المعمار الموحدي بشكل عام، تبرز جلاء ودهاء وعبقرية مهندسي ومصممي هذا الزمن منهم علي الغماري، يعيش المالقي، أحمد

بن باسة، ممن شيدوا صرح المعمار الموحدي في أرض المغرب وزهراء الأندلس جاءت في مواقع محكمة في حلة جميلة بسيطة.

- من خلال هذه الدراسة للفنون الموحدية، يلاحظ أن الموحدين كانت لهم الرغبة بالانفراد وإضفاء صبغة خاصة على فنونهم، بحيث ركزوا على الجمالية والدقة والبساطة.
- يدل بقاء الرصيد الفني للموحدين على براعة الفنان الموحدي، وكذا إتقانه لعمله.

ويبقى موضوع الفن الموحدي لحاجة ماسة لدراسات جادة تميط اللثام على الكثير من الحيثيات.

المصادر:

1. ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ج8. دار الكتاب العربي، بيروت. 1403هـ. 1983م.
2. ابن الأبار: الحلة البيراء، تحقيق حسين مؤنس. دار المعارض، القاهرة. 1405هـ. 1985م.
3. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة،تحقيق عبد السلام الهراسي، دار الفكر، بيروت. ج3. 1415هـ. 1995م.
4. الإدريسي: نزهة المشتاق.
5. ابن أبي أصبيعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق تزار رضا، منشورات دار المكتبة، الحياة، بيروت.
6. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط. 1392هـ. 1972م.
7. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الرغاية، الجزائر. 1432هـ. 2011م.
8. ابن حزم: رسائل بن حزم. تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان. ج1. ط2. 1987م.
9. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت. ط2. 1405هـ. 1984م.
10. ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني. 1402هـ. 1982م.
11. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان. تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.
12. السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، مكتبة دار الكتاب، الدار البيضاء. ج2. 1954م.
13. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت س8. 1484هـ. 1965م.
14. ابن عذارى أبو العباس المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان. ج4. ط1. 1973م.
15. ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق علي المكي، المهدية، تطوان، المغرب.
16. ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، دار التونسية للنشر.
17. لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد بن الله عنان مكتبة الخانجي، القاهرة.ج2.

18. مجهول: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر رمانة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب. 1989م.

19. محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. 1405هـ. 1985م.

20. محمد رضوان الداية: المختار من الشعراء الأندلسي وفصول.

21. الونشريسي أحمد بن يحي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، دار المغرب الإسلامي. ج1.

22. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الثقافة، بيروت، لبنان. ج3. ط1. 1973م.

المراجع:

23. ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار السلمي البيضاء، المغرب. ج1. 1384هـ. 1965م.

24. احسان عباس: تاريخ الأندلس عصر الطوائف المرابطين، دار الثقافة، بيروت. ط2.

25. احسان عباس: في أحبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، دار الكتاب، بيروت. ج01. سنة 17 آذار . 1975.

26. أحمد عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة. ط1. 1991م.

27. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الإسكندرية، مصر.

28. أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشروق القاهرة، بيروت. ط1. 1413هـ. 1983م.

29. بولقطيب الحسين: الحياة القبلية للحلف القبلي المصمودي في القرنين 5و 6هـ، مجلة الإجتهاد، بيروت دار الإجتهاد. العدد 18. شتاء عام 1413هـ. 1993م.

30. البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي من أحمد البلوي التونسي، فتاوى البرزلي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. ط01. 2002.

31. توفيق مزاري عبد الصمد:

32. حامد الشافعي: الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطبع والنشر، القاهرة. ط01. 1418هـ. 1998م.

33. حسن علي الحسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي القاهرة. ط02. 1967.

34. دنش عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي. ط1. 1988م.

35. رشيد برويبة: ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 1405هـ. 1985.

36. روبار بريشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15. ترجمة حمادي الساحلي دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط01. 1408هـ. 1991م.

37. روجي لي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عسر، ترجمة أمين الطبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا.

38. السيد عبد سالم: تاريخ وحضارة الأندلس

39. السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية. 1970.

40. صبحي أنو الرشيد: الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية، منشورات وزارة الإعلام، العراق. 1975.

41. عبد العزيز محمد لعرج: العمران الإسلامي وعمارته السكنية، قيم دينية ودلالات اجتماعية، حولية المؤرخ يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 3 و4. سنة 2005.

42. عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة. ط01. 1383هـ. 1964م.

43. عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة ابن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا. ط2. 1415هـ. 1995م.

44. عصمت عبد اللطيف دنش: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي في بيروت. ط01. 1408هـ. 1991م.

45. علي الجزنائي: جنى زهرة الأسفي، بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب. ط2. 1411هـ. 1991م.

46. علي عبد الله الدفاع: رواد علم الطب في حضارة العربية الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط01.

47. علي عبد الله علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر.1981م.

48. عنان عبد الله: الأثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مؤسسة الخانجي، القاهرة. ط02. 1967م.

49. صالح بن القرية: عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر. ط01. 1405هـ. 1985م.

50. فارمر: تاريخ الموسيقى العربية، ترجمة حسين النصار، دار الطباعة الحديثة، مصر.

51. محمد الأمين بلغيث: الحركة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02. 1427هـ. 2007م.

52. محمد رضوان الداية: المختار في الشعر الأندلسي وفصول في الشعر المغرب وصقلية، وفي الموشحات والأزجال، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق. 1992.

53. محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في الأندلس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

54. محمود خياري: تمرد جند العرب بمنطقة اشبيليا، مجلة الدراسات الإنسانية، تصدر عن كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، سنة 2001.

55. المنوني: حضارة الموحدين الفنون والعلو والآداب على عهد الموحدين. ط02. 1398هـ. 1988م.

56. المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب. 1979م.

57. الوزان الحسن بن محمد الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. ط02. 1983م.

58. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة. ج02. ط02. 1957م.

59. يوسف علي بن ابراهيم العربي، الحياة العلمية في الأندلس، في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز. 1416هـ. 1995م.

الملاحق.

الملحق رقم 01: جانب من الأبراج الموحدية وأحد أبراجها.

(L′ architecture maure en andalousie)

الملحق رقم 02: برج الذهب.

(L′ architecture maure en andalousie)

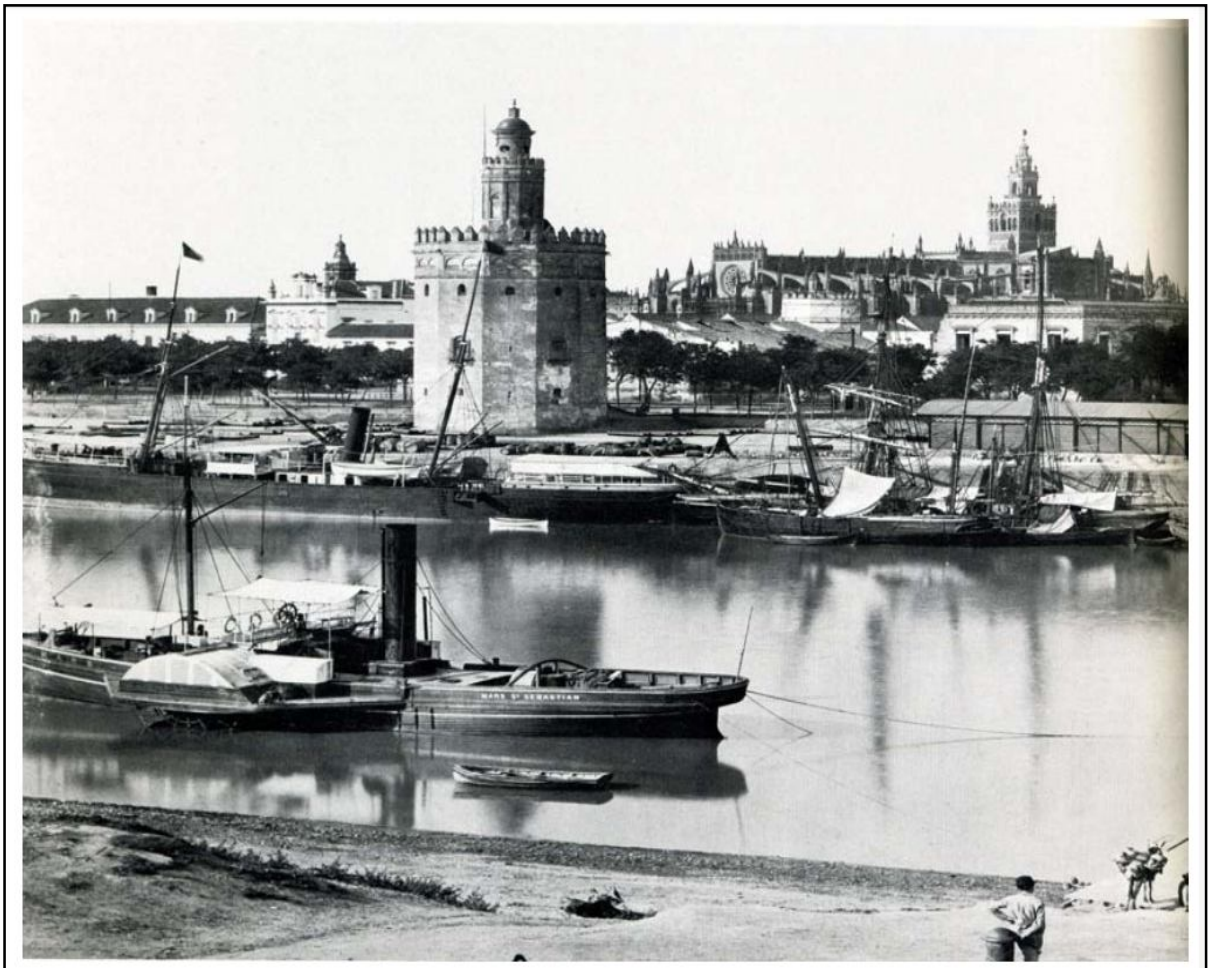

الملحق رقم 03: منارة مسجد اشبيليا لاخر الدا.

(L′ architecture maure en andalousie)

الملحق رقم 04: منارة مسجد حسان بالرباط.

(Maghreb Medieval)

الملحق رقم 05: مسجد الكتيبة (نظرة جانبية).

(Maghreb Medieval)

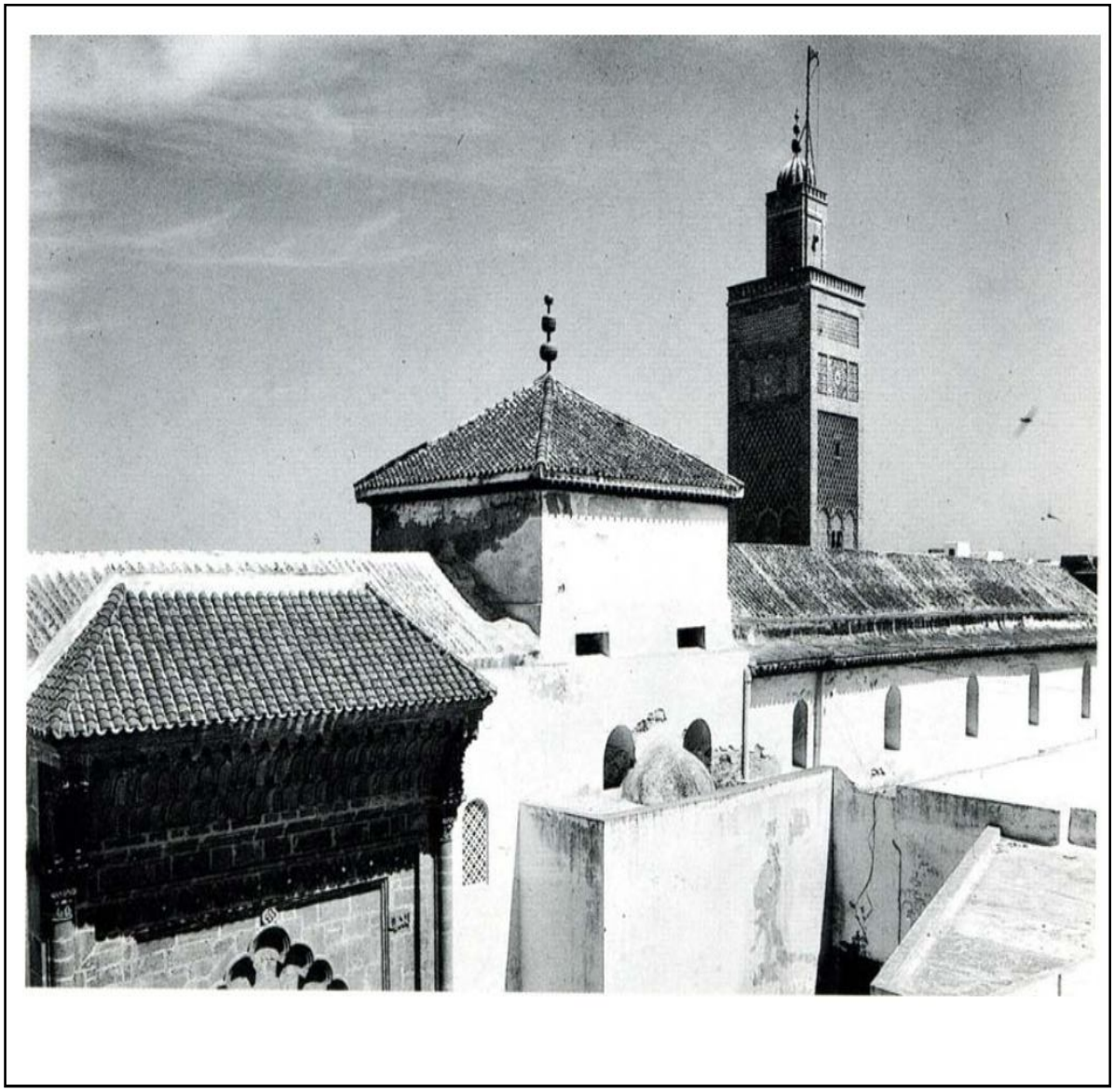

الملحق رقم 06: مدرسة حسان في الرباط.

(طه الولي: المساجد في الإسلام)

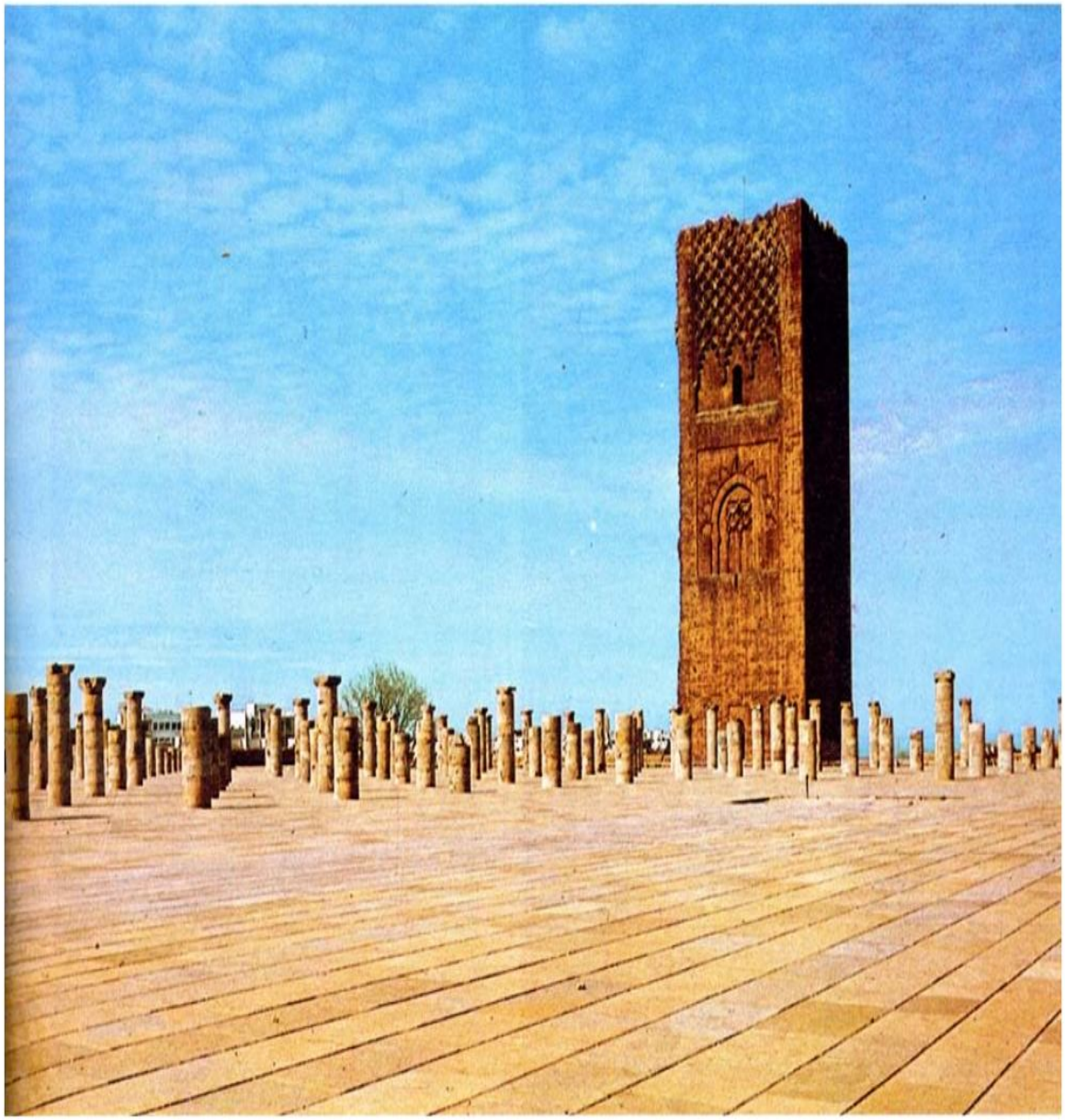

الملحق رقم 07: مسجد العباد بتلمسان.

(Laucien golvin la madrassa medieval)

الملحق رقم 08: مسجد الكتيبة.

(Maghreb Medieval)

الملحق رقم 09: أقمشة مدينة ألمرية.

(L′ architecture maure en andalousie)

الملحق رقم 11: أسوار وأبواب موحدية.

(Maghreb Medieval)

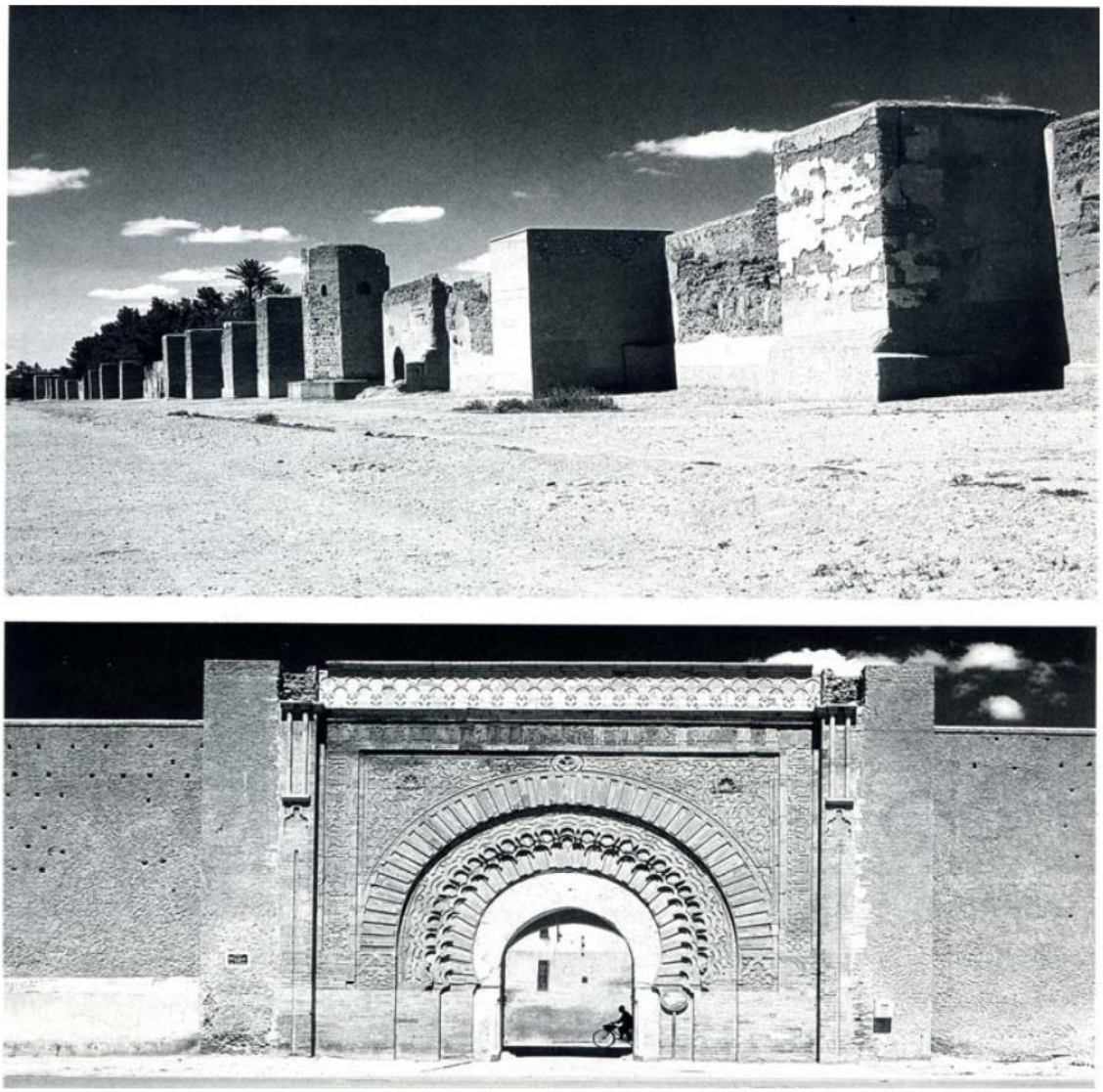

الملحق رقم 12: درهم موحدي بكتابة كوفية. (الظهر والوجه).

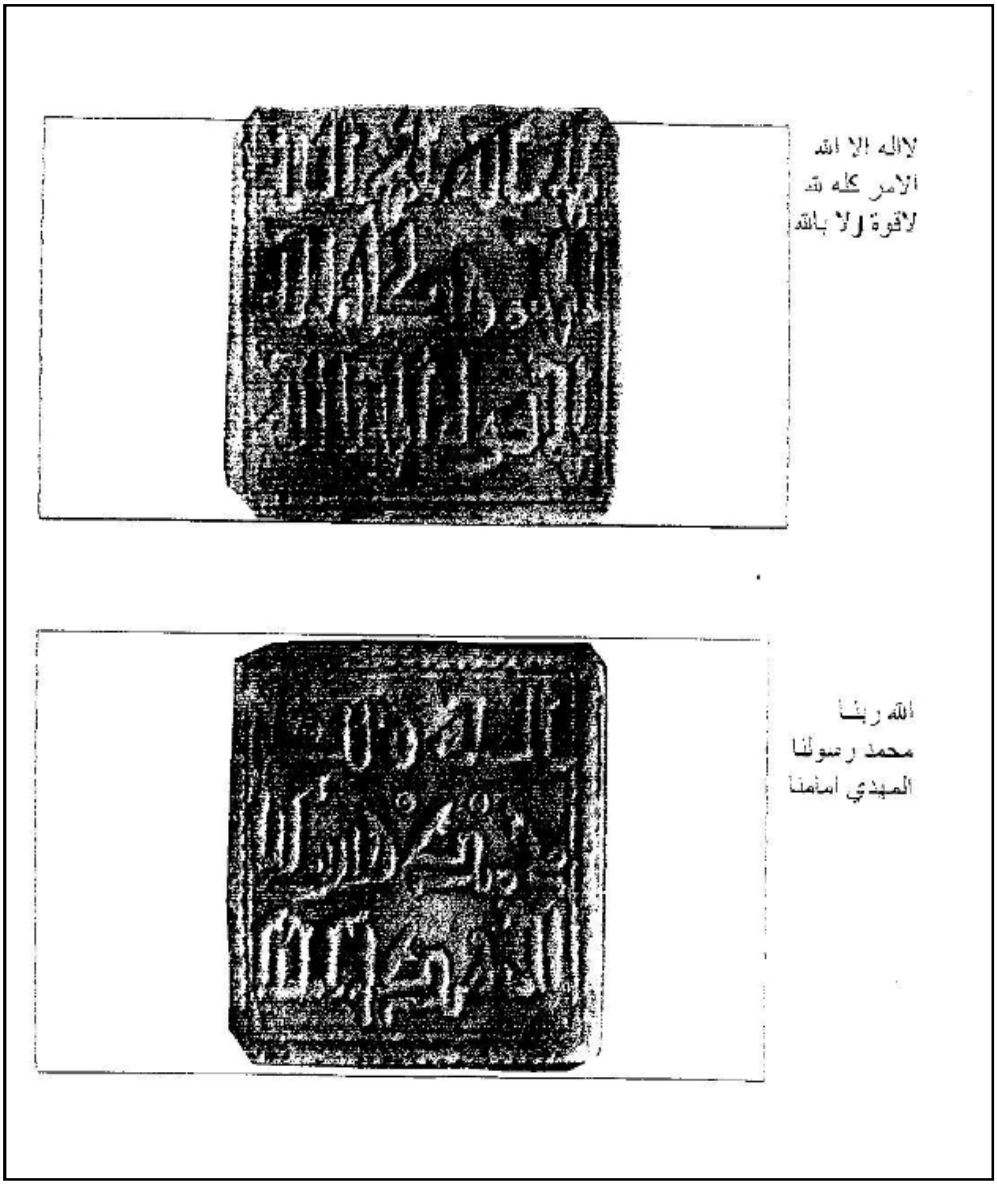

الملحق رقم 12: دينار موحدي بكتابة كوفية. (الوجه والظهر).

(رشيد بورويبة عبد المؤمن)

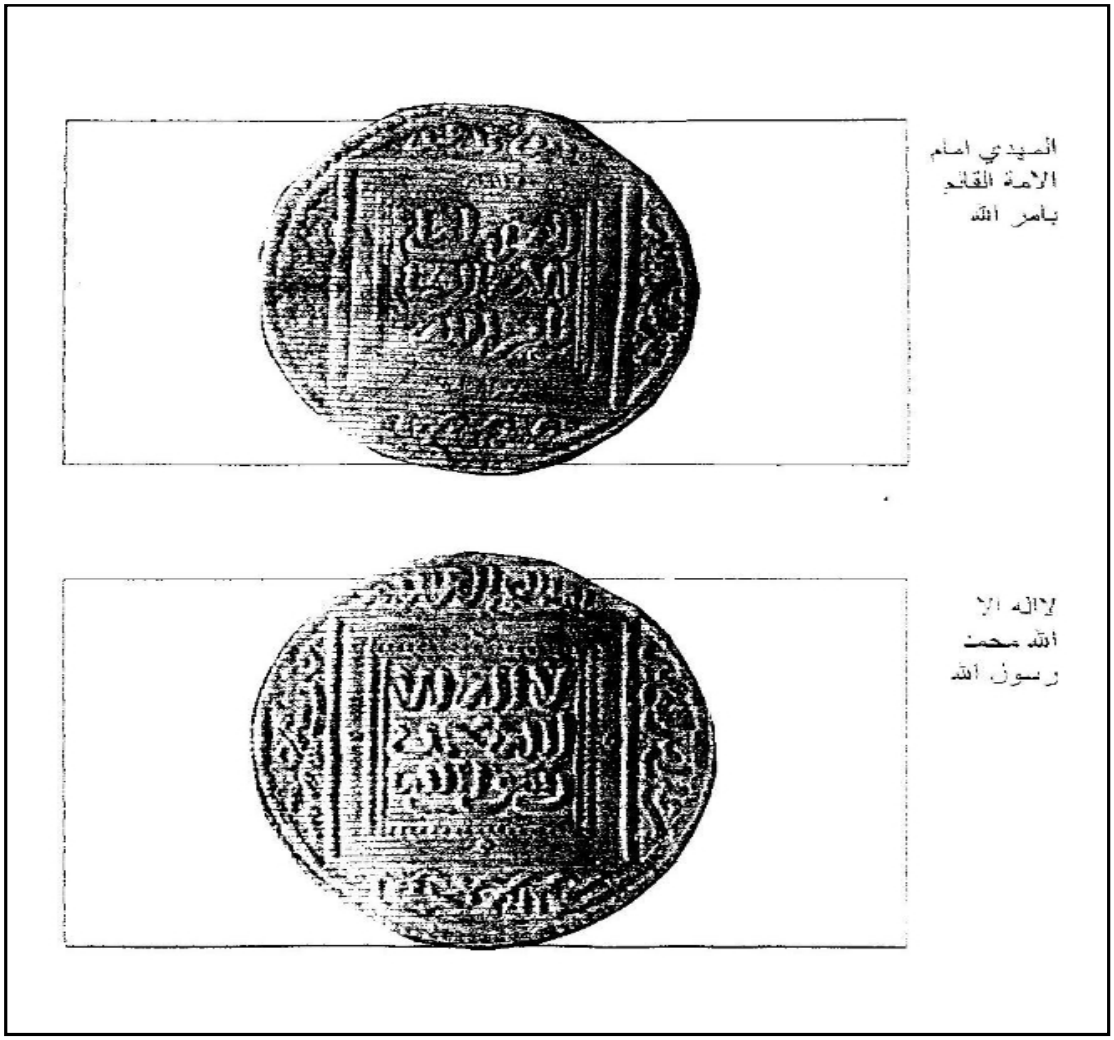

الملحق رقم 13: دينار موحدي بعد حركة الإصلاح النقدي في عهد المنصور الموحدي.(الوجه والظهر).

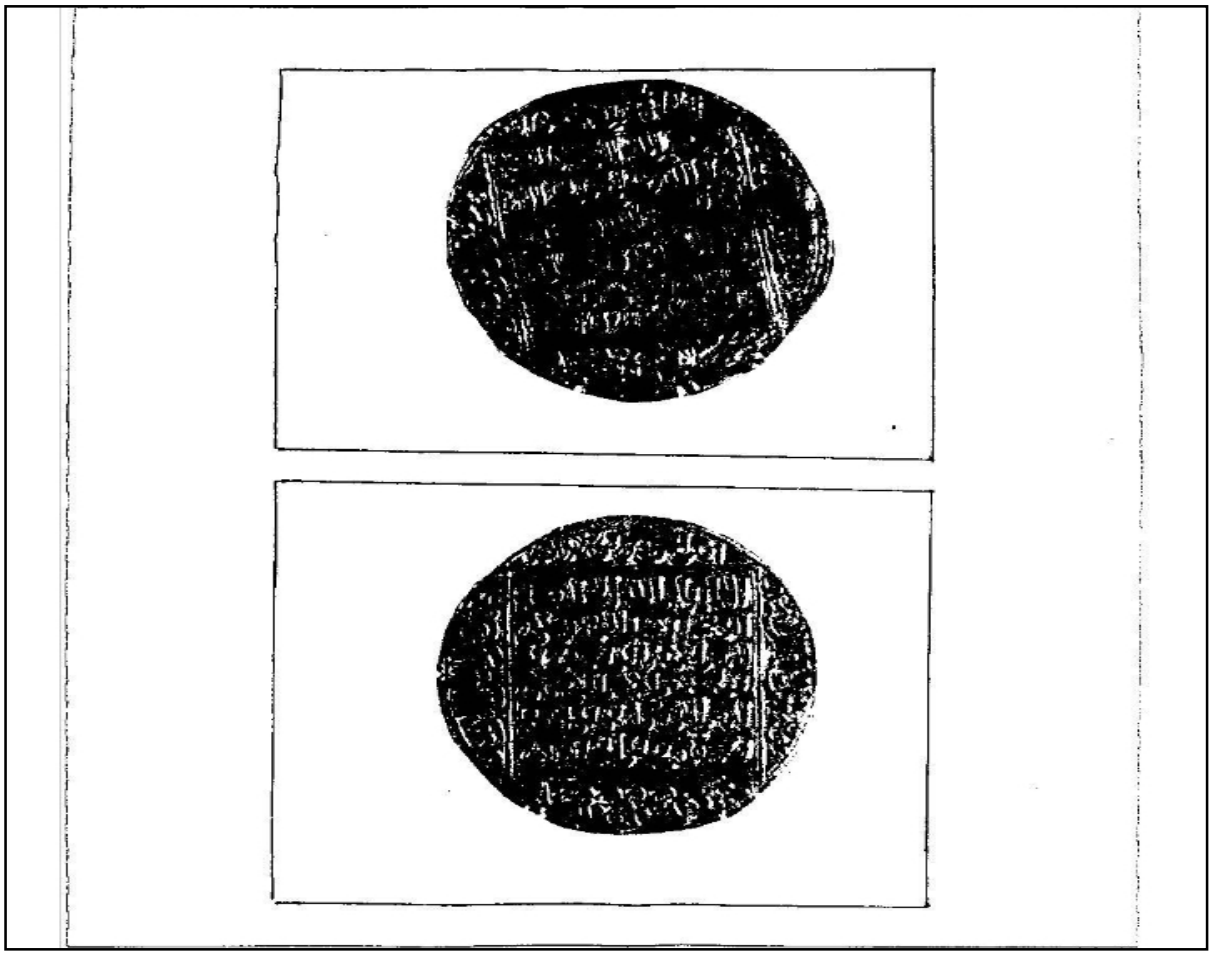

العنوان	الصفحة
بسم الله	
شكر وعرفان	
إهداء	
الفهرس	
المقدمة	أ - هـ
الفصل الأول:	**12**
المبحث01: مرحلة الدعوة الموحدية	**12**
محمد بن تومرت اسمه ونسبه	**12**
الرحلة العلمية لإبن تومرت.	**13**
مسيرة العودة	**14**
المبحث 02: المرحلة الإنتقالية	15
عودة بن تومرت إلى مسقط رأسه محضن دعوته	15
الإعلان عن المهدوية وتنظيم الأتباع	15
كسب الأنصار والقبائل المجاورة	16
معركة البحيرة وانهزام الموحدين	17
وفاة المهدي بن تومرت	18
المبحث 03: مرحلة تأسيس الدولة	19

عبد المؤمن وتأسيس الحكم	
التوسعات في المغربين الأوسط والأدنى	19
الأندلس تحت حكم الموحدين	20
الفصل الثاني: الفنون عند الموحدين	24
تمهيد	24
المبحث01: الموحدون والفن	24
تعريف الفن	24
نظرة الموحدين للفن	25
المبحث 02: الفنون الجمالية	25
الموسيقى	26
أدوات الموسيقى	26
الخط والكتابة	27
المبحث 03: الفنون التشكيلية	28
التزويق	28
فن النسيج والطرز	29
الهندسة المعمارية	30
المبحث 04: الفنون التطبيقية	31
صناعة الورق والتجليد	32

فن الصباغة	33
ضرب السكة: فن المسكوكات	34
فن الطبيخ	35
المشروبات	38
الفصل الثالث: المعمار عند الموحدين	41
تمهيد	41
المبحث01: الموحدون والبناء	42
نظرة الموحدين للبناء	43
طابع البناء	45
المنشآت المدنية	46
المدن	47
أمثلة عن بعض المدن	48
مدينة رباط الفتح	49
جبل الفتح	50
مدينة تازا	51
المنازل	52
القصور	53
المدارس	53

المستشفيات	54
الحمامات	54
الفنادق	54
القناطر	55
المبحث 03: المنشآت الدينية	56
المساجد	57
أمثلة عن الجوامع التي أنشأها الموحدون بالمغرب والأندلس	58
جامع تينمل	59
جامع الكتيبة	60
جامع حسان بالرباط	61
جامع القصبة الكبير باشبيليا	62
المبحث 04: المنشآت العسكرية	63
الحصون والقلاع	64
الأسوار	65
الخاتمة	
الملاحق	